فضل الدعوة إلى الله تعالى

تأليف
أ.د. فضل إلهي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمـــة

إنّ الحمدَ لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وبارك وسلم.

أما بعد

فإن الدعوة إلى الله تعالى من أَفضل الأَعمال، وأَقرب القربات، وأَجلّ الطاعات. ولقد عرفَ سلف هذه الأُمة منزلتها، فاهتموا بها، وقاموا بها خير قيام، وسعدوا بفضل الله تعالى بسبب العناية بها، ونالوا العز والشرف والرفعة في الدنيا والتمكين في الأَرض، وسعد بهم ـ برحمة الرب عزّ وجلّ ـ خلق كثير في مشارق الأَرض ومغاربها.

أما المسلمون في زمننا هذا فيُشاهَد لدى كثير منهم إهمال وتقصير وتفريط في الدعوة إلى الله عزّ وجلّ. ولهذا أسباب، ولعلّ من أهمها جهلهم أو تجاهلهم فضل الدعوة إلى الله تعالى. ورغبةً في تذكير نفسي، وتنبيه الغافلين، وتذكير المتجاهلين، وتعليم الجاهلين فضل الدعوة إلى الله تعالى، وتشجيع العاملين في مجالها وتنشيطهم عزمتُ بتوفيق مولاي العليم القدير على معالجة موضوع «**فضل الدعوة إلى الله تعالى**» في هذا البحث المتواضع راجياً منه سبحانه وتعالى أن يجعله نافعاً مفيداً لي، وللإسلام، والمسلمين. إنه سميع مجيب.

الأمور التي راعيتها في هذا البحث :

قد سعيتُ بعون ربي عز وجل أثناء إعداد هذا البحث إلى مراعاة الأمور التالية :

١ ـ كان المرجع الأساسي لهذا البحث الكتاب العزيز وسنة رسول الله ﷺ .

٢ ـ نقلـــتُ الأحاديث الشريفة من مراجعها الأَصلية، وذكرتُ حكم العلماء عليها إلا ما نقلتُها عن الصحيحين حيث أجمعت الأمة على تلقيها بالقبول[١] .

٣ ـ حرصتُ على الاستفادة من تفاسير المفسرين وشروح المحدّثين عند الاستشهاد بالآيات الكريمة والأَحاديث الشريفة .

٤ ـ شرحتُ كلمات غريبة وردتْ في متن الحديث رغبةً في إتمام الفائدة .

٥ ـ سجّلتُ معلومات وافية عن المراجع والمصادر في قائمتها تسهيلاً لمن أراد الرجوع إليها .

خطة البحث :

وجاءت خطة البحث بفضل ربي عزّ وجل على النحو التالي :

المقدمة

المطلب الأول : الدعوة إلى الله تعالى وظيفة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام .

المطلب الثانـي : الدعوة إلى الله تعالى مهمة إمام الأنبياء ﷺ .

المطلب الثالث : أَمـــرُ الأَنبياء عليهم السلام أممهم بأن يكونوا معلِّمي الناس الخير .

---

(١) انظر : مقدمة النووي لشرحه على صحيح مسلم ص١٤ ؛ ونزهة النظر في توضيح نخبة الفكر للحافظ ابن حجر ص٢٩ .

المطلب الرابع : الدعوة إلى الله تعالى شعار أتباع النبي الكريم ﷺ .
المطلب الخامس : الدعوة إلى الله تعالى من صفات أحسن الناس قولاً .
المطلب السادس : العالِم العامِل المعلِّم مثل أرضٍ طيِّبة تستفيد وتفيد .
المطلب السابع : اغتباط من أُوتي الحكمة وعلَّمها الناس .
المطلب الثامن : من دعاء عباد الرحمن أن يجعلهم الله تعالى للمتقين إماماً .
المطلب التاسع : فرضيَّة الدعوة إلى الله تعالى .
المطلب العاشر : القيام بالدعوة إلى الله تعالى من أسباب وصف الأمة بالخيرية .
المطلب الحادي عشر : الدعوة إلى الله تعالى من شروط الفوز بالفلاح .
المطلب الثاني عشر : الدعوة إلى الله تعالى من أسباب نصر الأمة .
المطلب الثالث عشر : صلاة الله تعالى والملائكة وأهل السموات والأرضين على معلِّم الناس الخير .
المطلب الرابع عشر : دعاء النبي الكريم ﷺ بالنضارة والرحمة لمبلِّغ مقالته .
المطلب الخامس عشر : الدعوة إلى الله تعالى صدقة .
المطلب السادس عشر : عظيم ثواب من اهتدى على يده شخص واحد .
المطلب السابع عشر : للغادي إلى المسجد لتعليم الخير أجر الحاج الّذي تمّ حجّه .
المطلب الثامن عشر : للداعي مثل أجور من تبعه .
المطلب التاسع عشر : استمرار ثواب الداعي بعد موته .
المطلب العشرون : الأجر العظيم للآمر بالمعروف .
المطلب الحادي والعشرون : داخل المسجد النبوي الشريف لتعلّم الخير وتعليمه كالمجاهد .

المطلب الثاني والعشرون: التفقّه في الدين والقيام بالإنذار قسيمة النفير للجهاد.

المطلب الثالث والعشرون: الدعوة إلى الله تعالى جهاد.

الشكر والتقدير والدعاء:

هذا، والشكر لله الأحد الصمد سبحانه وتعالى الذي وفّق العبد الضعيف لإعداد هذا البحث. والشكر والتقدير لوالدي الكريمين على اهتمامهما بتربيتي، وبذلهما المستطاع لغرس حبِّ الدعوة إلى الله تعالى في قلبي. ﴿رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾.

والشكر والتقدير لفضيلة الأخ الكريم الأستاذ الدكتور زيد ابن عبدالكريم الزيد على ما استفدت منه حول هذا البحث.

والشكر والدعاء بالتوفيق والسداد لابنَيَّ العزيزَيْن الحافظ حمّاد إلهي والحافظ سجّاد إلهي ولابنتَيَّ الغاليتين لِما ساعدوني في مراجعة البحث، ولزوجتي وسائر أولادي على حسن مراعاتهم حالي، وقيامهم بخدمتي. وأسأل ربي الحي القيوم أن يجعلهم جميعاً وأولاد المسلمين ونساءهم من الصالحين المصلحين المهتدين الهادين إنه سميع مجيب.

وأسأل الله عزّ وجلّ أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، ويجعله مباركاً نافعاً للإسلام والمسلمين. إنه جواد كريم.

وصلى الله تعالى على نبيِّنا وعلى آله وأصحابه وأتباعه وبارك وسلم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فضل إلهي

المطلب الأول

الدعوة إلى الله تعالى وظيفة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام

من المعلوم أن الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام هم صفوة الخلق. قال عزّ وجل: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾(١).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: «إن أفضل منازل الخلق عند الله منزلة الرسالة والنبوة، فالله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس»(٢).

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله تعالى: «الرسل لا يكونون إلا صفوة الخلق على الإطلاق»(٣).

ومما يدلّ على فضل الدعوة إلى الله تعالى أنّ الله عزّ وجلّ بعث أولئك الصفوة المباركة، الأنبياء والمرسلين عليهم السلام للدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

(١) سورة الحج/ الآية ٧٥.

(٢) مفتاح دار السعادة ١/ ١٠١.

(٣) تفسير السعدي ص٥٨٨. وقال عز وجل بعد ذكر إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام: ﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾ سورة ص/ الآية ٤٧. وقال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى في تفسير (المصطفين): «الذين اصطفاهم الله من صفوة خلقه». (المرجع السابق ص٧٨٠).

بعض النصوص الدالة على ذلك:

وهناك نصوص كثيرة تدلّ على ذلك. ومنها ما يلي:

أولاً: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[١].

قال العلاّمة الزمخشري: «ما من أمة إلا وقد بعث فيهم رسولاً يأمرهم بالخير الذي هو الإيمان وعبادة الله، وباجتناب الشر الذي هو طاعة الطاغوت»[٢].

ثانياً: وقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[٣].

ثالثاً: وقوله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[٤].

رابعاً: وقوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[٥].

(ب) أقوال بعض العلماء في هذا الصدد:

هذا، وقد تحدّث علماء الأمة رحمهم الله تعالى عن هذا كذلك.

وفيما يلي بعض ما قالوه في هذا الصدد:

أولاً: قال الإمام ابن القيم: «فالدعوة إلى الله تعالى هي وظيفة المرسلين وأتباعهم»[٦].

---

(١) سورة النحل/ الآية ٣٦.
(٢) الكشاف ٢/ ٤٠٩.
(٣) سورة فاطر/ الآية ٢٤.
(٤) سورة النساء/ الآية ١٦٥.
(٥) سورة الأنعام/ جزء من الآية ٤٨.
(٦) جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد ﷺ خير الأنام ص٤١٥.

ثانياً: وقال الشيخ السيد محمد رشيد رضا: «وقد جرت سنة الأنبياء والمرسلين والسلف الصالحين على الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن كان محفوفاً بالمكاره والمخاوف. وكم قُتِل في سبيل ذلك منهم من نبي وصديق، فكانوا أفضل الشهداء»[١].

ثالثاً؛ وقال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز: «فالرسل عليهم الصلاة والسلام هم هداة الخلق، وهم أئمة الهدى، ودعاة الثقلين جميعاً إلى طاعة الله وعبادته. فالله سبحانه أكرم العباد بهم، ورحمهم بإرسالهم إليهم، وأوضح على أيديهم الطريق السوي، والصراط المستقيم، حتى يكون الناس على بيِّنة من أمرهم»[٢].

ولو لم يكن للدعوة إلى الله تعالى فضل إلا هذا لكفاها شرفاً وفضلاً لأنّ المهمة التي بعث الله تعالى صفوة خلقه ـ الأنبياء والمرسلين صلوات ربي وسلامه عليهم ـ للقيام بها لا شكَّ تكون أفضل المهام وأجلّها وأشرفها وأعلاها. جعل الله الحي القيوم لنا نصيباً وافراً منها آمين. يا رب العالمين.

* * *

(١) تفسير المنار ٤/ ٣٢.

(٢) الدعوة إلى الله تعالى وأخلاق الدعاة ص٨.

المطلب الثاني
الدعوة إلى الله تعالى مهمة إمام الأنبياء ﷺ

من المعروف أن نبينا الكريم محمداً ﷺ هو إمام الأنبياء وقائد المرسلين، وبيده لواء الحمد يوم القيامة، وما من نبيّ يومئذ آدم عليه السلام، فمن سواه إلا تحت لوائه[(١)]. وقد أسند الله عز وجل إليه مهمة الدعوة إلى الصراط المستقيم كما كان قد أسندها إلى الأنبياء والمرسلين السابقين عليهم الصلاة والسلام. وقد وردت نصوص كثيرة تدلّ على أنّ بعثته ﷺ كانت للدعوة إلى الله تعالى، كما وردتْ نصوص أخرى أُمِر فيها النبي ﷺ بالقيام بالتبليغ والدعوة والتذكير. وشهدت نصوص عدة على أنه ﷺ قام بهذه المهمة الجليلة.

وفيما يلي ذكر بعض تلك النصوص:

(أ) بعض النصوص الدالة على بعثته ﷺ للدعوة إلى الله تعالىٰ:

أولاً: قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا

---

(١) روى الإمام الترمذي في جامعه عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ ـ آدم فمن سواه ـ إلا تحت لوائي**» (جامع الترمذي، أبواب المناقب، باب، جزء من رقم الحديث ٣٨٥٧، ١٠/ ٥٩). وصحّحه الشيخ الألباني. (انظر: صحيح سنن الترمذي ٣/ ١٩٠).

﴿وَنَذِيرًا﴾[١].

ثانياً: قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾[٢].

ثالثاً: قوله عزّ وجل: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾[٣].

رابعاً: قوله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾[٤].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: « ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ﴾: أي داعياً للخلق إلى عبادة ربهم عن أمره لك بذلك»[٥].

وقال الشيخ ابن عاشور رحمه الله تعالى في تفسيره: « ﴿بإذنه﴾: يفيد أن الله أرسله داعياً إليه، ويسَّر له الدعاء إليه مع ثقل أمر هذا الدعاء، وعظم خطره»[٦].

(ب) بعض النصوص التي أُمِر فيها ﷺ بالتبليغ والدعوة والتذكير:

أولاً: قوله عزّ وجلّ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ

---

(١) سورة سبأ/ الآية ٢٨.
(٢) سورة البقرة/ الآية ١١٩.
(٣) سورة الفرقان/ الآية الأولى.
(٤) سورة الأحزاب/ الآيتان ٤٥ ـ ٤٦.
(٥) تفسير ابن كثير ٣/ ٥٤٧.
(٦) التحرير والتنوير ٢٢/ ٥٤.

﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(١).

ثانيـــاً: قوله عزّ وجلّ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾(٢).

ثالثـــاً: قوله عزّ وجلّ: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾(٣).

رابعـــاً: قوله عزّ وجلّ: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾(٤).

خامساً: قوله عزّ وجلّ: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(٥).

سادساً: قوله عزّ وجلّ: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾(٦).

سابعاً: قوله عزّ وجلّ: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾(٧).

(جـ) بعض النصوص الدالة على قيامه ﷺ بالدعوة:

قد قام النبي الكريم ﷺ بهذه المهمة الجليلة كما أمره ربّه عزّ وجلّ، وقد شهد له سبحانه وتعالى بذلك في عدة آيات. ومنها ما يلي:

أولاً: قوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٨).

---

(١) سورة المائدة/ الآية ٦٧.
(٢) سورة النحل/ جزء من الآية ١٢٥.
(٣) سورة الشورى/ جزء من الآية ١٥.
(٤) سورة ق/ جزء من الآية ٤٥.
(٥) سورة الذاريات/ الآية ٥٥.
(٦) سورة الطور/ الآية ٢٩.
(٧) سورة الغاشية/ الآية ٢١.
(٨) سورة المؤمنون/ الآية ٧٣.

ثانياً: قوله عزّ وجلّ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[١].

ثالثاً: ولقد قام النبي ﷺ بالدعوة إلى الله تعالى في جميع الأماكن والأزمان والأحوال، ودعا جميع أصناف الناس، كما استخدم جميع الأساليب والوسائل المشروعة المتاحة له. وقد بلغ به ﷺ حرصه على هداية أمته حتى كاد يهلك نفسه حسرة عليهم، فنهاه ربه عز وجل عن ذلك بقوله: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[٢][٣].

ويكفي لبيان عظيم منزلة الدعوة إلى الله تعالى أنّ الله عزّ وجلّ بعث خليله وحبيبه محمداً ﷺ للقيام بها، وأمره بذلك، وبذل صلوات ربي وسلامه عليه جميع أوقاته، وطاقاته، وإمكاناته للقيام بها.

* * *

(١) سورة الأعراف/ جزء من الآية ١٥٧.
(٢) سورة فاطر/ الآية ٨
(٣) انظر للتفصيل: كتاب [الحرص على هداية الناس في ضوء النصوص وسير الصالحين] للمؤلف من ص١٧ إلى ص٤٠.

المطلب الثالث
أمر الأنبياء عليهم السلام أممهم بأن يكونوا معلّمي الناس الخير

ومما يتجلّى فيه فضل الدعوة إلى الله تعالى أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم يقتصروا على أمر الناس بمعرفة الحق الذي جاءوا به، والعمل به فحسب، بل أمروهم كذلك بتعليم ذلك الحق غيرهم. قال عزّ من قائل: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾[١].

ومما نستفيده من هذه الآية الكريمة أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يأمرون أقوامهم بأن يكونوا [ربّانيين]. قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية: «أي ولكن يقول الرسول للناس»: «**كونوا ربانيين**»[٢].

ولا يصير الشخص [ربّانيًا] إلا إذا توفّرت فيه خصال ثلاث: أن يتعلّم الخير، ويعمل بما تعلّم، ويعلّم غيره ما تعلّمه. وقال الإمام أبو عبيدة رحمه الله تعالى: «هذه الكلمة [الرباني] تدلّ على الإنسان الذي

---

(١) سورة آل عمران/ الآية ٧٩.

(٢) تفسر ابن كثير ١/ ٤٠٥؛ وانظر أيضاً: تفسير الطبري ٦/ ٥٤٠؛ وزاد المسير ١/ ٤١٣؛ والتفسير الكبير ٨/ ١١٢.

علِم، وعمِل بما علم، واشتغل بتعليم طرق الخير»[١].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: إن السلف مجمعون على أن العالِم لا يستحقّ أن يسمَّى [ربَّانيًّا] حتى يعرف الحق، ويعمل به، ويعلِّمه. فمن علِم وعمِل وَعلَّم فذاك يُدْعَى عظيماً في ملكوت السماوات[٢].

فخلاصة الكلام أنّ مما يدلّ على شرف الدعوة إلى الله تعالى أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم يقفوا عند مطالبة الناس بمعرفة الحق والعمل به، بل أمروهم كذلك بتعليم الحق غيرهم.

* * *

(١) انظر: التفسير الكبير ٨/ ١١٢.
(٢) انظر: زاد المعاد ٣/ ١٠.

المطلب الرابع

الدعوة إلى الله تعالى شعار أتباع النبي الكريم ﷺ

ومما يبيِّن عظمة الدعوة إلى الله تعالى أنّ الله عزّ وجلّ جعل القيام بها من شعار أتباع النبي الكريم ﷺ. قال عزّ وجلّ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[١].

ومما ذكره علماء الأمة رحمهم الله تعالى في تفسير هذه الآية الكريمة ما يلي:

(أ) قال الحافظ ابن كثير في تفسير الآية: «يقول تعالى لرسوله ﷺ إلى الثقلين الإنس والجن آمراً له أن يخبر الناس أنّ هذه سبيله أي طريقته ومسلكه وسنته، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك، ويقين وبرهان، هو وكل من اتبعه يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرة ويقين وبرهان عقلي وشرعي»[٢].

---

(١) سورة يوسف/ الآية ١٠٨.

(٢) تفسير ابن كثير ٢/ ٥٤٣ ـ ٥٤٤؛ وانظر أيضاً: معاني القرآن للفراء ٢/ ٥٥، وتفسير الطبري ١٦/ ٢٩٢؛ وأحكام القرآن للجصاص ٣/ ١٧٩؛ وتفسير البغوي ٢/ ٤٥٣، والكشاف ٢/ ٤٣٦، والتفسير الكبير ١٨/ ٢٢٥؛ وتفسير القرطبي ٢/ ٤٥٣؛ وفتح القدير ٢/ ٨٤ ـ ٨٥، وتفسير التحرير والتنوير ١٣/ ٦٥؛ وتفسير السعدي ص ٤٣٠؛ وأيسر التفاسير ٢/ ٤٣٢.

(ب) وقال الإمـــام ابن القيم: «وسواء كان المعنى: أنا ومن اتبعني يدعو إلى الله على بصيرة، أو كان الوقف عند قوله: ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾، ثم يبتدئ ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾، فالقولان متلازمان، فإنه أمره سبحانه أنْ يخبر أنَّ سبيله الدعوة إلى الله. فمن دعا إلى الله تعالى فهو على سبيل رسول الله ﷺ، وهو على بصيرة، وهو من أتباعه ومن دعا إلى غير ذلك فليس على سبيله، ولا على بصيرة، ولا هو من أتباعه.

فالدعوة إلى الله تعالى هي وظيفة المرسلين وأتباعهم، وهم خلفاء الرسل في أممهم، والناس تبع لهم»(١).

وقال رحمه الله تعالى في مقام آخر بعد ذكر الآية الكريمة: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾: «لا يكون من أتباعه حقاً إلا من دعا إلى الله على بصيرة كما كان متبوعه ﷺ يفعل. فهؤلاء خلفاء الرسل حقاً، وورثتهم دون الناس، وهم أولوا العلم الذين قاموا بماء جاء به علماً وعملاً وهداية وإرشاداً وصبراً وجهاداً، وهؤلاء هم الصديقون، وهم أفضل أتباع الأنبياء، ورأسهم وإمامهم الصديق الأكبر أبو بكر رضي الله عنه. قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾(٢).

فذكر مراتب السعداء، وهي أربعة: وبدأ بأعلاهم مرتبة، ثم الذين يلونهم إلى آخر المراتب. فهؤلاء الأربعة هم أهل الجنة الذين هم أهلها.

---

(١) جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد ﷺ خير الأنام ص٤١٥.
(٢) سورة النساء/ الآيتان ٦٩ ـ ٧٠.

جعلنا الله تعالى منهم بمنِّه وكرمه[١]. آمين يارب العالمين.

(جـ) وقال الشيخ عبدالحميد بن باديس: «لقد كان في بيانِ أنّ الدعوة إلى الله هي سبيل محمد ﷺ ما يُفيد أنّ على أتباعه ـ وهو قدوتُهم ولهم فيه الأسوة الحسنة ـ أنْ تكون الدعوةُ إلى الله سبيلَهم. ولكن لتأكيد هذا عليهم، وبيان أنه مِنْ مقتضى كونهم أتباعَه، وأنَّ اتِّباعَهم له لا يتمّ إلا به، جاء التصريح بذلك هكذا ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ فالمسلمون أفراداً وجماعاتٍ عليهم أن يقوموا بالدعوة إلى الله، وأن تكون دعوتُهم على بيِّنة وحجة وإيمان ويقين، وأنْ تكون دعوتهم وفقاً لدعوتِه، وتبَعاً لها»[٢].

* * *

(١) مفتاح دار السعادة ١/ ٧٨ باختصار.

(٢) الدرر الغالية في آداب الدعوة والداعية ص١١ ـ ١٢.

المطلب الخامس
الدعوة إلى الله تعالى من صفات أحسن الناس قولاً

ومما يدلّ على عظيم منزلة الدعوة إلى الله تعالى أنها من صفات أحسن الناس قولاً. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[١].

والاستفهام الوارد في الآية الكريمة بمعنى النفي[٢]، ومعنى الآية: لا أحد أحسن قولاً ممن استجمع تلك الصفات من الدعوة إلى الله تعالى والعمل الصالح، والإعلان بكونه من المسلمين اعتزازاً وتفاخراً[٣].

وقال العلاّمة الشوكاني رحمه الله تعالى: «فلا شيء أحسن منه، ولا أوضح من طريقته، ولا أكثر ثواباً من عمله»[٤].

والآية عامة في كل من دعا إلى الله تعالى قديماً وحديثاً، وعمل صالحاً، وصرّح أنه من المسلمين لأمر الله تعالى المنقادين له.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره: فالصحيح أنها

---

(١) سورة فصلت/ الآية ٣٣.

(٢) انظر: روح المعاني ٤٤/ ١٢٢؛ وتفسير السعدي ص٨٢٠.

(٣) انظر: المحرّر والوجيز ١٤/ ١٨٥؛ وتفسير البيضاوي ٢/ ٣٥٣؛ وتفسير أبي السعود ٨/ ١٤؛ وتفسير القاسمي ١٤/ ٢٧٣.

(٤) فتح القدير ٤/ ٧٣٤.

عامة كما قال عبدالرزاق عن معمر عن الحسن البصري أنه تلا هذه الآية: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ فقال: هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحبّ أهل الأرض إلى الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب فيه من دعوته، وعمل صالحاً في إجابته، وقال إنني من المسلمين، هذا خليفة الله[1]»[2].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى مبيّناً فضل نشرِ العلم الذي جاء به النبي ﷺ في أمته، ودعوتهم إلى طريقته ﷺ: «وهذا من أفضل الأعمال وأعظمها نفعاً للعبد في الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[3].

---

(١) (خليفة الله): للعلماء قولان في هذا. فمنهم من يقول: يجوز أن يُقال: «فلان خليفة الله في أرضه»، ومنهم من يقول: لا يجوز أن يقال هذا. وقد ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى أدلة الفريقين، ثم قال: «قلت: إن أريد بالإضافة إلى الله أنه خليفة عنه، فالصواب قول الطائفة المانعة منها. وإن أريد أنّ الله استخلفه عن غيره ممن كان قبله، فهذا لا يمتنع فيه الإضافة. وحقيقتها خليفة الله الذي جعله الله خلفاً عن غيره». والإضافة إلى الله عز وجل تفيد التشريف والتخصيص. (انظر: مفتاح دار السعادة ١/ ١٥١ ـ ١٥٣).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٤/ ١٠٦؛ وانظر أيضاً: تفسير القرآن للإمام عبدالرزاق ٢/ ١٨٧؛ وتفسير البغوي ٤/ ١١٤؛ والكشاف ٣/ ٤٥٣؛ والمحرّر الوجيز ١٤٠/ ١٨٥؛ وتفسير القرطبي ١٥/ ٣٦٠؛ والبحر المحيط ٧/ ٤٧٥؛ ومفتاح دار السعادة ١/ ١٥٣؛ وتفسير البيضاوي ٢/ ٣٥٣؛ وتفسير أبي السعود ٨/ ١٤؛ وروح المعاني ٢٤/ ١٢٢؛ وفتح القدير ٤/ ٧٣٤.

(٣) جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد ﷺ خير الأنام ص٤١٤ ـ ٤١٥.

وقال رحمه الله تعالى كذلك عن الدعوة إلى الله تعالى: إنها أشرف مقامات العبد، وأجلها، وأفضلها[١].

وقال الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى في تفسير الآية: «وهذه المرتبة تمامها للصدّيقين الذين عملوا على تكميل أنفسهم، وتكميل غيرهم، وحصلت لهم الوراثة التامة من الرسل»[٢].

حكمة تقديم [الدعوة] على غيرها في الآية الكريمة:

ومما ينبغي التنبيه إليه أنّ الله عز وجل قدّم الدعوة إليه تعالى على غيرها في الآية الكريمة. قال العلاّمة القاشاني رحمه الله تعالى مبيِّناً حكمة ذلك: «وإنما قدّم الدعوة إلى الحق والتكميل لكونه أشرف المراتب، ولاستلزامه الكمال العلمي والعملي، وإلا لَمَا صحّت الدعوة»[٣].

قول فضيل بن عياض رحمه الله تعالى في عالِم عامل معلِّم:

هذا، وقد روى الإمام الترمذي رحمه الله تعالى عن الفضيل ابن عياض رحمه الله تعالى قال: «عالم عامِل معلِّم يُدْعى كبيراً في ملكوت السموات»[٤].

وقال الشيخ المباركفوري رحمه الله تعالى في شرح قوله: «والمعنى أن أهل السماوات يدعونه كبيراً لكبر شأنه لجمعه العلم

---

(١) انظر: مفتاح دار السعادة ١/ ١٥٤.
(٢) تفسير السعدي ص٨٢٠.
(٣) نقلاً عن تفسير القاسمي ١٤/ ٢٧٣.
(٤) جامع الترمذي، أبواب العلم، باب في فضل الفقه على العبادة، ٧/ ٣٨٠.

والعمل والتعليم»[١].

قول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في مَنْ علِم وعمل وعلَّم:

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: «فمن عَلِم وعمِل وعلَّم فذاك يُدْعى عظيماً في ملكوت السماوات»[٢].

وقال رحمه الله تعالى أيضاً عن الذين يدعون إلى دين الله وعبادته ومعرفته ومحبته: «وهؤلاء هم خواص خلق الله وأفضلهم عند الله منزلة وأعلاهم قدراً»[٣].

* * *

(١) تحفة الأحوذي ٧/ ٣٨٠.
(٢) زاد المعاد ٣/ ١٠.
(٣) مفتاح دار السعادة ١/ ١٥٣.

المطلب السادس
العالِم العامِل المعلِّم مثل أرض طيبة تستفيد وتفيد

وممَّا يجلو شرف الدعوة إلى الله تعالى ما ثبت من تشبيه النبي الكريم ﷺ العالِمَ العامِلَ المعلِّمَ بأرض نقيَّة طيبة تستفيد من الغيث الكثير بقبول الماء، وتفيد غيرها بإنبات الكلأ والعشب الكثير. وقد ورد هذا التشبيه فيما رواه الشيخان عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث[١] الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نقيَّة[٢] قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب[٣] الكثير، وكانت منها أجادب[٤] أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا. وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان[٥]، لا تُمسِك**

---

(١) (الغيث): المطر. (انظر: شرح النووي ١٥/ ٤٦).

(٢) (نقيّة): من النقاء، وهي صفة لمحذوف. (انظر: فتح الباري (١٧٧). وفي صحيح مسلم: «فكانت منها طائفة طيبة» (٤/ ١٧٨٧).

(٣) (الكلأ والعشب): هو من ذكر الخاص بعد العام، لأنّ الكلأ يُطْلَقَ على النبت الرطب واليابس معاً، والعشب للرطب فقط. (فتح الباري ١/ ١٧٦).

(٤) (أجادب): جمع جدب بفتح الدال، وهي الأرض الصلبة التي لا ينضب منها الماء. (انظر: المرجع السابق ١/ ١٧٦).

(٥) (قيعان): بكسر القاف جمع قاع، وهو الأرض المستوية الملساء التي لا تنبت. (المرجع السابق ١/ ١٧٦).

ماءً ولا تُنْبِت كلأ. فذلك مثل من فقُه[١] في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به، فعلِم وعلَّم، ومثل من لَم يرفع بذلك رأساً[٢]، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلتُ به»[٣].

وقد نقل الحافظ ابن حجر عن الإمام القرطبي وغيره ـ رحمهم الله تعالى جميعاً ـ أنهم قالوا في شرح الحديث: ضرب النبي ﷺ لما جاء به من الدين مثلاً بالغيث العام الذي يأتي الناس في حال حاجتهم إليه، ثم شبَّه السامعين له بالأرض المختلفة التي ينزل بها الغيث، فمنهم العالِم العامِل المعَلِّم، فهو بمنزلة الأرض الطيبة شربت فانتفعت في نفسها، وأنبتت فنفعت غيرها[٤].

هذا، وقد استدلّ الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى بهذا الحديث الشريف على عظيم مكانة من جمعوا بين العلم والعمل والدعوة إلى الله عز وجل، فقال رحمه الله تعالى: جعل النبي ﷺ الناس بالنسبة إلى الهدى والعلم ثلاث طبقات: الطبقة الأولى: ورثة الرسل وخلفاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهم الذين آمنوا بالدين علماً وعملاً

---

(١) (فقُه): بضم القاف أي صار فقيهاً. قال ابن التين: رويناه بكسرها، والضم أشبه. (فتح الباري ١/ ١٧٦).

(٢) (من لم يرفع بذلك رأساً): أي أعرض عنه، فلم ينتفع به، ولا نفع. (المرجع السابق ١/ ١٧٧).

(٣) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب فضل من علِم وعلّم، رقم الحديث ٧٩، ١/ ١٧٥؛ واللفظ له؛ وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بُعِثَ النبي ﷺ من الهدى والعلم، رقم الحديث ١٥ (٢٢٨٢)، ٤/ ١٧٨٧ ـ ١٧٨٨.

(٤) انظر: فتح الباري ١/ ١٧٧.

ودعوةً إلى الله عز وجل ورسوله ﷺ. فهؤلاء أتباع الرسل صلوات الله وسلامه عليهم حقاً، وهم بمنزلة الطائفة الطيبة التي زكتْ، فقبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، فزكت في نفسها، وزكا الناس بها. وهؤلاء هم الذين جمعوا بين البصيرة في الدين والقوة على الدعوة، ولذلك كانوا ورثة الأنبياء الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾[١] أي: البصائر في دين الله عزّ وجل، فبالبصائر يُدْرك الحق ويُعرَف، وبالقوى يتمكّن من تبليغه وتنفيذه والدعوة إليه[٢].

هذا، وقد ترجم الإمام البخاري رحمه الله تعالى على هذا الحديث، بقوله: «باب فضل من عَلِم وعلَّم»[٣].

* * *

(١) سورة ص/ الآية ٤٥.
(٢) انظر: الوابل الصيب من الكلم الطيِّب ص٧٣.
(٣) صحيح البخاري، كتاب العلم، ١/ ١٧٥.

المطلب السابع
اغتباط من أُوتي الحكمة وعلَّم الناس

وممَّا يدلّ على عظيم شأن الدعوة إلى الله تعالى ما ثبت من حثِّ النبي الكريم ﷺ على غبطة من آتاه الله تعالى الحكمة، ووفّقه سبحانه لتعليمها الناس فقد روى الشيخان عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «قال النبي ﷺ: **«لا حسد إلا في اثنتين: رجلٌ آتاه الله مالاً**[١] **فسُلِّط**[٢] **على هَلَكته**[٣] **في الحق**[٤]**، ورجل آتاه الله الحكمة**[٥]**، فهو يقضي بها، ويعلِّمها»**[٦].

---

(١) (**مالاً**): نكَرَه ليشمل القليل والكثير. (فتح الباري ١/ ١٦٧).

(٢) (**فسلِّط**): وعُبِّر بالتسليط لدلالته على قهر النفس المجبولة على الشح. (المرجع السابق ١/ ١٦٧).

(٣) (**هَلَكَته**): بفتح اللام والكاف أي إهلاكه، وعُبِّر بذلك ليدلّ على أنه لا يبقى منه شيئاً. (المرجع السابق ١/ ١٦٧).

(٤) (**في الحق**): أي في الطاعات ليزيل عنه إيهام الإسراف المذموم. (المرجع السابق ١/ ١٦٧).

(٥) (**الحكمة**): قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: «كل ما منع عن الجهل، وزجر عن القبيح». (شرح النووي ٦/ ٩٨).

(٦) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة، رقم الحديث ٧٣، ١/ ١٦٥؛ واللفظ له؛ وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلِّمه، وفضل من تعلّم حكمة من فقه وغيره، فعمل بها وعلّمها، رقم الحديث ٢٦٦ (٨١٥)، ١/ ٥٥٩.

ولعلّه من المناسب ذكر بعض الأمور المتعلقة بالحديث في هذا المقام، وهي كما يلي:

أولاً: إن المراد بـ «الحسد» في هذا الحديث «الغبطة». وفي هذا الصدد قال الإمام ابن المنيِّر رحمه الله تعالى: «المراد بالحسد هنا الغبطة»[(١)].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: «الحسد: تمنّى زوال النعمة عن المنعَم عليه، وأما الحسد المذكور في الحديث فهو الغبطة، وأُطلق الحسد عليه مجازاً؛ وهي أن يتمنّى أن يكون له مثل ما لغيره من غير أن يزول عنه. والحرص على هذا يُسمَّى منافسة، فإن كان في الطاعة فهو محمود، ومنه: ﴿فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَافِسُونَ﴾[(٢)]، وإن كان في المعصية فهو مذموم، ومنه «**ولا تنافسوا**»، وإن كان في الجائزات فهو مباح»[(٣)].

ثانياً: يتضمّن الحديث الترغيب في الخصلتين، وهما: التصدّق بالمال، وتعليم العلم. قال الإمام الطيبي رحمه الله تعالى: ومعنى الحديث: الترغيب في التصدّق بالمال، وتعليم العلم[(٤)].

ثالثاً: بيَّن الحديث عظم شأن هاتين الخصلتين وأنّ المرتبة العليا من الغبطة هي فيهما. وقد أفاد ذلك بعض علماء الأمة جزاهم الله خيراً.

ومما قالوه في هذا الصدد ما يلي:

(أ) قال الإمام ابن المنيِّر رحمه الله تعالى: ومعناه: حصر

---

(١) نقلاً عن فتح الباري ١٣/ ١٢٠.
(٢) سورة المطففين/ جزء من الآية ٢٦.
(٣) انظر: فتح الباري ١/ ١٦٦ ـ ١٦٧.
(٤) شرح الطيبي ٢/ ٦٦٢ باختصار.

المرتبة العليا من الغبطة في هاتين الخصلتين، فكأنه قال ﷺ: «هما آكد القربات التي يغبط بهما، أي لا غبطة كاملة التأكيد لتأكيد أجر متعلِّقها إلا الغبطة بهاتين الخصلتين»(١).

(ب) وقال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: «فأخبر ﷺ أنه لا ينبغي لأحد أن يحسد أحداً يعني حسد غبطة، ويتمنّى مثل حاله من غير أن يتمنّى زوال نعمة الله عنه إلا في واحدة من هاتين الخصلتين: وهي الإحسان إلى الناس بعلمه وماله، وما عدا هذين فلا ينبغي غبطته، ولا تمني مثل حاله لقلة منفعة الناس به»(٢).

(جـ) وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: «فكأنه قال ﷺ في الحديث: «لا غبطة أعظم ـ أو أفضل ـ من الغبطة في هذين الأمرين»(٣).

رابعاً: بيّن الإمام الطيبي رحمه الله تعالى حكمة إثبات النبي الكريم ﷺ الحسد في الحديث بدل الغبطة بقوله: «أقول أثبت الحسد في الحديث لإرادة المبالغة في تحصيل النعمتين الخطيرتين، يعني ولو حصلتا بهذا الطريق المذموم، فينبغي أن يُتَحرَّى ويُجْتَهَد في تحصيلهما فكيف بالطريق المحمود؟

بل، أقول: هو الطريق المحمود لذاته، والمأمور في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِۚ﴾(٤) والمرغَّب فيه بقوله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ أُوْلَٰٓئِكَ

---

(١) نقلاً عن فتح الباري ١٣/ ١٢٠ ـ ١٢١ باختصار.
(٢) مفتاح دار السعادة ١/ ٦٢.
(٣) فتح الباري ١/ ١٦٧؛ وانظر أيضاً: شرح السنة ١/ ٢٩٩؛ ومرقاة المفاتيح ٤/ ٦١٨.
(٤) سورة البقرة/ جزء من الآية ١٤٨.

﴿ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[١] فإن السبق هو روم نيل ما لصاحبك واختصاصك به. قالت الخنساء:

وما بلغتْ كف امرئ متناولاً من المجد إلا والذي نال أطول

وهو الحسد المباح الذي سبق ذكره، وكيف لا؟ وكل واحدة من هاتيك الخصلتين بلغت غاية لا أمد فوقها، ولو اجتمعتا في امرئ بلغ من العلياء بمكان»[٢].

خامساً: ترجم الإمام ابن حبان رحمه الله تعالى على هذا الحديث في صحيحه بقوله: «ذكر إباحة الحسد لمن أُوْتي الحكمة وعلّمها الناس»[٣].

وترجم الإمام النووي رحمه الله تعالى على ثلاثة أحاديث، وقد رواها الإمام مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه، ومنها هذا الحديث، بقوله: «باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلِّمه، وفضل من تعلّم حكمة من فقه وغيره، فعمل بها وعلّمها»[٤].

* * *

(١) سورة الواقعة/ الآيتان: ١٠ ـ ١١.
(٢) شرح الطيبي ٢/ ٦٦٢ ـ ٦٦٣.
(٣) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب العلم، ١/ ٢٩٢.
(٤) شرح النووي ٦/ ٩٧.

المطلب الثامن
من دعاء عباد الرحمن أن يجعلهم الله تعالى للمتقين إماماً

وممَّا يدلّ على سمو قدر الدعوة إلى الله عزّ وجلّ وعظيم منزلتها ما ذكره الله عز وجل أنّ مِنْ دعاء [عباد الرحمن] أنْ يجعلهم سبحانه وتعالى للمتقين إماماً. قال عزّ وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[(١)].

وسبب دعائهم هذا ـ كما ذكره المفسرون رحمهم الله تعالى ـ كي يكونوا قدوة لغيرهم فيتكسبوا أجر من سيقتدى بهم. وفيما يلي بعض ما ذكره المفسرون رحمهم الله تعالى في هذا الصدد:

(أ) قال الإمام البغوي في تفسيره: «أئمة نقتدي بمن قبلنا ويقتدي بنا من بعدنا»[(٢)].

(ب) وقال الإمام ابن العربي: قوله: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ معناه: قدوة»[(٣)].

(جـ) وقال العلاّمة القرطبي: «أي قدوة يقتدون بنا في الخير»[(٤)].

---

(١) سورة الفرقان/ الآية ٧٤.

(٢) شرح السنة، كتاب العلم، باب ثواب من دعا إلى هدى أو أحيا سنة، وإثم من ابتدع بدعة أو دعا إليها، ١/ ٢٣١؛ وانظر أيضاً: أحكام القرآن للجصاص ٣/ ٣٤٨.

(٣) أحكام القرآن ٣/ ١٤٣٤.

(٤) تفسير القرطبي ١٣/ ٨٣.

(د) وقال العلاّمة الغرناطـــي الكلبـــي: «أي قدوة يقتدي بنا المتقون»[١].

هـ) وقال الحافظ ابن كثير: «وقوله تعالى: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ قال ابن عباس - رضي الله عنهما - والحسن والسدي وقتادة والربيع بن أنس - رحمهم الله تعالى -: «أئمة يقتدى بنا في الخير».

وقال غيرهم: «هداة مهتدين دعاة إلى الخير، فأحبّوا أن تكون عبادتهم متصلة بعبادة أولادهم وذرياتهم، وأن يكون هداهم متعدّياً إلى غيرهم بالنفع، وذلك أكثر ثواباً وأحسن مآباً. ولهذا ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: ولد صالح يدعو له، أو علم ينتفع به من بعده، أو صدقة جارية**[٢]»[٣].

(و) وقال الشيخ ابن عاشور في تفسيره: وكما سألوا التوفيق والخير لأزواجهم وذرّيّاتهم سألوا لأنفسهم بعد أن وفّقهم الله إلى الإيمان، أن يجعلهم قدوةً يقتدي بهم المتقون.

وهذا يقتضي أنهم يسألون أن يكونوا دعاةً للدخول إلى الإسلام، وأنْ يهتدي الناس إليه بواسطتهم[٤].

---

(١) كتاب التسهيل ٣/ ١٧٨؛ وانظر أيضاً: تفسير البيضاوي ٢/ ١٤٨.

(٢) انظر: صحيح مسلم، كتاب الوصيّة، باب ما يلحق الإنسان من ثواب بعد وفاته، ١٤ (١٦٣١)، ٣/ ١٢٥٥.

(٣) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٦٣؛ وانظر أيضاً: تفسير القاسمي ١٢/ ٢٨٣.

(٤) تفسير التحرير والتنوير ١٩/ ٨٣ باختصار؛ وانظر أيضاً: تفسير السعدي ص٦٣٦.

المطلب التاسع
فرضيّة الدعوة إلى الله تعالى

وممّا يدلّ على جلالة قدر الدعوة إلى الله تعالى أنها فريضة من الفرائض كتبها الله عز وجل على الأمة. ومن المعلوم أنّ ما فرضه الله تعالى على عباده له مكانة عظيمة عنده سبحانه وتعالى، بل هو أحبّ ما يتقرّب به العبد إلى ربه عزّ وجلّ. فقد قال الله عز وجل كما ورد في الحديث القدسي: «**وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ مما افترضته عليه**»(١).

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ: ويستفاد منه أنّ أداء الفرائض أحبّ الأعمال إلى الله تعالى. قال الطوفي ـ رحمه الله تعال ـ: وفي الإتيان بالفرائض على الوجه المأمور به امتثال الأوامر، واحترام الآمر، وتعظيمه بالانقياد إليه، وإظهار عظمة الربوبية، وذل العبودية، فكان التقرب بذلك أعظم العمل(٢).

وأما النصوص الدالة على فرضيَّة الدعوة إلى الله تعالى فهي كثيرة جداً. ومنها ما يلي:

أولاً: قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ

---

(١) أخرج الحديث الإمام البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، كتاب الرقاق، باب التواضع، جزء من رقم الحديث ٦٥٠٢، ١١/ ٣٤٢.

(٢) انظر: فتح الباري ١١/ ٣٤٣.

﴿بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[١].

ففي هذه الآية الكريمة وردتْ صيغة الأمر لمطالبة المسلمين بالقيام بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وصيغة الأمر هي [لام الأمر] التي دخلتْ على فعل المضارع في قوله تعالى: ﴿ولتكن﴾. قال الإمام البغوي رحمه الله تعالى: «واللام في قوله ﴿ولتكن﴾ لام الأمر»[٢].

وقال الشيخ ابن عاشور رحمه الله تعالى: «وصيغة ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾ صيغة وجوب لأنها أصرح في الأمر من صيغة [افعلوا] لأنها أصلها»[٣].

وصيغة الأمر تفيد الوجوب[٤].

ثانياً: ومن النصوص الدالة على فرضيَّة الدعوة إلى الله تعالى ما رواه الإمام البخاري رحمه الله تعالى عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أنّ النبي ﷺ قال: «**بلِّغوا عني ولو آية**»[٥].

ففي هذا الحديث الشريف أمر النبي الكريم ﷺ بتبليغ ما يُتَلقَّى منه حتى ولو كان المبلَّغ منه آية واحدة. قال العلاّمة العيني رحمه الله تعالى: «قوله: **(ولو آية)**: أي علامة ظاهرة، فهو تتميم ومبالغة، أي ولو كان

---

(١) سورة آل عمران/ الآية: ١٠٤.

(٢) تفسير البغوي ١/ ٣٣٨؛ وانظر أيضاً: تفسير الخازن ١/ ٣٩٩.

(٣) تفسير التحرير والتنوير الجزء ٣/ ص٣٧.

(٤) انظر: العدّة في أصول الفقه ١/ ٢٢٤؛ والتمهيد في أصول الفقه ١/ ١٤٥.

(٥) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذُكِر عن بني إسرائيل، جزء من رقم الحديث ٣٤٦١، ٦/ ٤٩٦.

المبلَّغ فعلاً أو إشارة أو نحوها»[١].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: «وقال في الحديث (**ولو آية**) أي واحدة ليسارع كل سامع إلى تبليغ ما وقع له من الآي، ولو قلّ، ليتّصل بذلك نقل جميع ما جاء به ﷺ»[٢].

هذا، وقد استنبط القاضي البيضاوي رحمه الله تعالى من هذا الحديث أمراً آخر. فقد قال رحمه الله تعالى: «إنما قال (آية) أي من القرآن، ولم يقل حديثاً فإن الآيات مع تكفّل الله بحفظها واجبة التبليغ، فتبليغ الحديث يُفْهم منه بالطريق الأولى»[٣].

ثالثاً: ومن النصوص الدالة على وجوب الدعوة إلى الله تعالى كذلك ما رواه الإمام البخاري عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: خطبنا النبي ﷺ يوم النحر قال: «**أتدرون أي يوم هذا؟**»...

إلى أن قال ﷺ: «**ألا هل بلَّغتُ**».

قالوا: «نعم».

قال: «**اللهم اشهد**». **فليبلِّغ الشاهد الغائب، فربَّ مبلَّغ أوعى من سامع**»[٤].

ومما نجده في هذه الخطبة أنّ النبي الكريم ﷺ أمر الحاضرين بتبليغ ما سمعوه منه ﷺ.

---

(١) عمدة القاري ١٦/ ٤٥.

(٢) فتح الباري ٦/ ٤٩٨؛ وانظر أيضاً عمدة القاري ١٦/ ٤٥.

(٣) نقلاً عن المرجع السابق ١٦/ ٤٥.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، جزء من رقم الحديث ١٧٤١، ٣/ ٥٧٣ ـ ٥٧٤.

وجاء في رواية أخرى أنّ ابن عباس رضي الله عنهما قال: «فوالذي نفسي بيده إنها لوصيته إلى أمته: «**فليبلِّغ الشاهد الغائب**»[١].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: «قال ابن عباس رضي الله عنهما: «فوالذي نفسي بيده إنها لوصيته» يريد بذلك الكلام الأخير، وهو قوله ﷺ: «**فليبلِّغ الشاهد الغائب**»[٢].

وقال العلاّمة العيني رحمه الله تعالى: وقوله: «قال ابن عباس رضي الله عنهما «فوالذي نفسي بيده! إنها لوصيته إلى أمته» قسم من ابن عباس رضي الله عنهما، صدَّر به كلامه للتأكيد»[٣].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى مبيِّناً فوائد الحديث: «وفي الحديث من الفوائد أيضاً وجوب تبليغ العلم على الكفاية، وقد يتعيَّن في حق بعض الناس»[٤].

فخلاصة الكلام أنّ الدعوة إلى الله تعالى فريضة من الفرائض كتبها الله تعالى على الأمة. وإنَّ كونها فريضة بلا شك يدلّ على جليل مكانتها، وعظيم شأنها عند الله عز وجل[٥].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، جزء من رقم الحديث ١٧٣٩، ٣/ ٥٧٣ ـ ٥٧٤.

(٢) فتح الباري ٣/ ٥٧٥.

(٣) عمدة القاري ١٠/ ٧٨.

(٤) فتح الباري ٣/ ٥٧٦.

(٥) تمّ الاكتفاء بذكر ثلاثة من أدلة فرضية الدعوة إلى الله تعالى على سبيل المثال. ومن أراد الاطلاع على أدلة أخرى فليرجع إلى الكتب التي تناولت هذا الموضوع. ومنها الدعوة الإسلامية: أصولها ووسائلها للدكتور أحمد أحمد غلوش من ص٢٣٣ إلى ص ٢٤٠، والحسبة تعريفها ومشروعيتها ووجوبها للمؤلف من ص٤٣ إلى ص٦٧.

المطلب العاشر

القيام بالدعوة إلى الله تعالى من أسباب وصف الأمة بالخيرية

وصف الله عزّ وجل أمة محمد ﷺ أنها [خير أمة]، ولكن ربط سبحانه وتعالى وصف الأمة بالخيرية بأسباب. وإنّ ما يدلّ على جلالة قدر الدعوة إلى الله عز وجل أنها من تلك الأسباب الموجبة لوصف الأمة بالخيرية. ومما يدلّ على ذلك ما يلي:

أولاً: قوله عزوجل: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[١] أخبر المولى عزّوجل في هذه الآية الكريمة أنّ أمة محمد ﷺ خير الأمم، وأن وصفها بالخيرية بسبب قيامها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله تعالى. قال أبو هريرة رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾: خير الناس للناس[٢]، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام[٣]»[٤].

---

(١) سورة آل عمران/ الآية: ١١٠.

(٢) (خير الناس للناس): «أي خير لبعض الناس لبعضهم أي أنفعهم لهم، وإنما كان ذلك لكونهم كانوا سبباً في إسلامهم». (فتح الباري ٨/ ٢٢٥).

(٣) قال الحافظ ابن الجوزي رحمه الله تعالى: «معناه أنهم أسروا وقيدوا. فلما عرفوا صحة الإسلام دخلوا طوعاً، فدخلوا الجنة، فكان الإكراه على الأسر، والتقيد هو السبب الأول، وكأنه أطلق على الإكراه التسلل، ولما كان هو السبب في دخول الجنة أقام المسبب مقام السبب». (نقلاً عن المرجع السابق ٦/ ١٤٥).

(٤) رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب التفسر، سورة آل عمران، باب ﴿كُنتُمْ=

وقال مجاهد رحمه الله تعالى في تفسير الآية الكريمة: «يقول: كنتم خير الناس على هذا الشرط: أنْ تأمروا بالمعروف، وتنهوا عن المنكر، وتؤمنوا بالله»(١).

وقال القاضي ابن عطية الأندلسي رحمه الله تعالى: «وهذه الخيرية التي فرضها الله لهذه الأمة إنما يأخذ بحظه منها من عمل هذه الشروط من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله»(٢).

وقال العلاّمة الفخر الرازي رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ﴾: «واعلم أنّ هذا الكلام مستأنف، والمقصود منه بيان علّة تلك الخيرية، كما تقول: زيد كريم يطعم الناس، ويكسوهم، ويقوم بما يصلحهم»(٣).

ثانياً: ويدلّ على كون الدعوة إلى الله تعالى من أسباب وصف الأمة بالخيرية أيضاً قوله عزوجل: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾(٤) أخبر المولى عزوجل في هذه الآية أنه سبحانه جعل الأمة الإسلامية أمة خياراً ليشهدوا على

= ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، رقم الرواية ٤٥٥٧، ٨/ ٢٢٤.

(١) تفسر الطبري، رقم الأثر ٧٦١٥، ٧/ ١٠٢ـ١٠٣.

(٢) المحرّر الوجيز ٣/ ١٩٥.

(٣) التفسير الكبير ٨/ ١٧٩؛ وانظر أيضاً الكشاف ١/ ٤٥٤؛ وإحياء علوم الدين ٢/ ٣٠٧؛ وتفسير القرطبي ٢/ ٣٠٧؛ وكتاب تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر ص٣؛ وتفسير أبي السعود ٢/ ٧١؛ وتفسير القاسمي ٤/ ١٩٢.

(٤) سورة البقرة/ الآية ١٤٣.

الأمم الأخرى بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما جعل سبحانه نبيَّه محمداً ﷺ شهيداً على هذه الأمة حيث دعاهم إلى الخير وأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر. قال الشيخ محمد جمال الدين القاسمي رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾» ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ أي خياراً، ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[١].

وقال الشيخ القاسمي رحمه الله تعالى أيضاً: «وإلى هذا المعنى يشير قول مجاهد ـ رحمه الله تعالى ـ في الآية: «لتكونوا شهداء لمحمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ على الأمم، اليهود والنصارى والمجوس»[٢] أي شهداء على حقية رسالته، وذلك بالدعوة إليها، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو قطب الدعوة وروحها»[٣].

وقال الشيخ ابن عاشور رحمه الله تعالى في تفسير الآية: و﴿ٱلنَّاسِ﴾ عام، والمراد بهم الأمم الماضون والحاضرون. وهذه شهادة دنيوية وأخروية. ومن مكمِّلات الشهادة في الدنيا وجوب دعوتنا الأمم للإسلام ليقوم ذلك مقام دعوة الرسول إياهم حتى تتمّ الشهادة للمؤمنين منهم على المعرضين[٤].

---

(١) تفسير القاسمي ٤/ ١٩٣.
(٢) انظر: تفسير الطبري، رقم الأثر ٢١٨٦، ٣/ ١٥٠.
(٣) تفسير القاسمي ٢/ ٢٨٣.
(٤) التحرير والتنوير ٢/ ٢٠ ـ ٢١ باختصار.

ثالثاً: ومن أدلة ذلك أيضاً ما رواه الإمام أحمد رحمه الله تعالى عن درّة بنت أبي لهب رضي الله عنها قالت: قام رجل إلى النبي ﷺ، وهو على المنبر، فقال: «يا رسول الله! أيُّ الناس خير؟

قال: «**خير الناس أقرؤهم وأتقاهم وآمرهم بالمعروف وأنهاكم عن المنكر، وأوصلهم للرحم**»[1].

ومما نجده في هذا الحديث أن النبي ﷺ بيّن أن القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأوصاف التي يحكم بها للمرء أنه من خير الناس. جعلنا الله تعالى بفضله وكرمه منهم. آمين يا رب العالمين.

* * *

(١) المسند ٦/ ٤٣٢ (ط. المكتب الإسلامي). وقال عنه الحافظ الهيثمي بعد ذكر الحديث: رواه أحمد، وهذا لفظه، والطبراني، وزاد.. ورجالهما ثقات، وفي بعضٍ كلام لا يضره. (مجمع الزوائد ٧/ ٢٦٣).

المطلب الحادي عشر
الدعوة إلى الله تعالى من شروط الفوز بالفلاح

ومما يدّل على عُلُوِّ درجة الدعوة إلى الله تعالى أنّ الله عزّ وجلّ جعل القيام بها من شروط النجاة من الخسران والفوز بالفلاح. وهناك عدة نصوص تدلّ على هذا. ومنها ما يلي:

أولاً: قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾[1].

أخبر الله عز وجل أنَّ البشرية كلها في دائرة الخسران، ولا يخرج منها إلا من اتّصف بأربع صفات، وهي: الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر. والتواصي بالحق ـ الصفة الثالثة ـ هي التواصي بأداء الطاعات وترك المحرّمات[2].

وقد بيّن ذلك علماء الأمة رحمهم الله تعالى أثناء تفسيرهم هذه السورة المباركة. ومما قالوه في هذا الصدد ما يلي:

أ: روى الإمام عبد الرزاق عن محمد بن كعب القرظي رضي الله عنه قال: في قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ قسم أقسم ربنا تبارك وتعالى ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ قال: الإنسان كلهم، ثم استثنى فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ثم لم يدَعَهم وذاك، حتى قال: ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، ثم لم

---

(١) سورة العصر/ الآيات ١ ـ ٣.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٤/ ٥٨٢.

يدَعَهم وذاك، حتى قال: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ﴾، ثم لم يدَعَهم وذاك حتى قال: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ شروطاً يشترط عليهم»[١].

ب: وقال القاضي ابن عطية رحمه الله تعالى في تفسيره: «ومن كان في مدة عمره في التواصي بالحق والصبر والعمل بحسب الوصاة فلا خُسْرَ معه، وقد جمع له الخير كلّه»[٢].

جـ: وقال العلاّمة الفخر الرازي في تفسير السورة: «فيها وعيد شديد، وذلك لأنّ الله حكم بالخسار على جميع الناس إلا من كان آتياً بهذه الأشياء الأربعة، وهي: الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر. فدلّ ذلك على أنّ النجاة معلّقة بمجموع هذه الأمور، وأنه كما يلزم المكلَّف تحصيل ما يخصّ نفسه، فكذلك يلزمه في غيره أمور، منها: الدعاء إلى الدين، والنصيحة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يحبَّ له ما يحبُّ لنفسه»[٣].

د: وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره: «فأقسم تعالى بذلك على أن الإنسان لفي خسرٍ أي في خسارة وهلاك ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فاستثنى من جنس الإنسان من الخسران الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا الصالحات بجوارحهم ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ﴾ وهو أداء الطاعات وترك المحرّمات ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ أي على المصائب والأقدار وأذى من يؤذي ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر»[٤].

---

(١) انظر: تفسير القرآن للإمام عبد الرزاق الصنعاني ٢/ ٣٩٤.
(٢) المحرّر الوجيز ١٦/ ٣٦٢.
(٣) التفسير الكبير ٣٢/ ٨٩ ـ ٨٠.
(٤) تفسير ابن كثير ٤/ ٥٨٢.

حكمة عطف [التواصي بالحق والتواصي بالصبر] على [الأعمال الصالحة]:

ومما نجده في هذه السورة الكريمة أنّ الله عزوجل عطف [التواصي بالحق] و[التواصي بالصبر] على [الأعمال الصالحة] رغم دخولهما فيها. وهذا من باب ذكر الخاص بعد العام، ويدلّ بلا شك على عظيم مكانتهما عند الله تعالى. وفي هذا الصدد قال الشيخ محي الدين شيخ زاده رحمه الله تعالى: «عطف [التواصي بالحق] و[التواصي بالصبر] على [الأعمال الصالحة] مع أنهما داخلان في الأعمال الصالحة لبيان فضلهما وشرفهما»(١).

وقال الشيخ ابن عاشور رحمه الله تعالى في هذا الصدد: «وعطف على [عمل الصالحات] [التواصي بالحق والتواصي بالصبر] وإن كان ذلك من [عمل الصالحات]، عطف الخاص على العام للاهتمام به لأنه قد يُغْفَل عنه، ويظنُّ أنّ العمل الصالح هو ما أثره عمل المرء في خاصته، فوقع التنبيه على أن من العمل المأمور به إرشادَ المسلم غيره ودعوتَه إلى الحق. فالتواصي بالحق يشمل تعليم حقائق الهدى، وعقائد الصواب، وإراضة النفس على فهمها بفعل المعروف وترك المنكر»(٢).

ثانياً: ومن النصوص الدالة على أن من شروط الفوز بالفلاح القيام بالدعوة إلى الله تعالى قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ

---

(١) حاشية الشيخ محي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي ٤/ ٦٩٣.
(٢) التحرير والتنوير ٣٠/ ٥٣٢ ـ ٥٣٣.

﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(١).

ذكر الله عزّ وجلّ في هذه الآية الكريمة ثلاث صفات، وهي: الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وأخبر أن المتَّصفين بها هم المفلحون. قال العلاّمة محمد جمال الدين القاسمي رحمه الله تعالى في تفسير الآية: ﴿وَأُولَٰئِكَ﴾: الداعون الآمرون الناهون ﴿هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بأجور أعمالهم وأعمال من تبعهم»(٢).

والمراد بـ ﴿الْمُفْلِحُونَ﴾ كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: «الذين أدركوا ما طلبوا، ونجحوا من شرِّ ما منه هربوا»(٣).

ومما يؤكد كون الدعوة إلى الخير من شروط الفوز بالفلاح أن الله تعالى خصَّص الفلاح في هذه الآية الكريمة بالداعين إلى الخير والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر حيث ورد ضمير فصل ﴿هُمُ﴾ بين المبتدأ ﴿وَأُولَٰئِكَ﴾ والخبر ﴿الْمُفْلِحُونَ﴾. وقد بيّن ذلك كثير من علماء الأمة جزاهم الله خيراً. ومما أفادوه في هذا الصدد ما يلي:

(أ) قال الشيخ أبو حامد الغزالي: «وفيها بيان أن الفلاح منوط به [أي بما ذُكِر] إذ حصر وقال: ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(٤).

---

(١) سورة آل عمران/ الآية ١٠٤.

(٢) تفسير القاسمي ٤/ ١٧٦، وانظر أيضاً: تفسير الجلالين ١/ ٥٨.

(٣) تفسير الطبري ١/ ٢٥٠؛ وانظر أيضاً: المحرّر الوجيز ٣/ ٨٩؛ والبحر المحيط حيث جاء فيه: «﴿وأولئك هم المفلحون﴾ وهو تبشير عظيم، ووعد كريم لمن اتّصف بما قبل هذه الجملة» ٣/ ٢٤.

(٤) إحياء علوم الدين ٢/ ٣٠٧.

(ب) وقال القاضي أبو السعود: و﴿هُمُ﴾ ضمير فصل، يفصل بين الخبر والصفة، ويؤكد النسبة، ويفيد اختصاص المسند بالمسند إليه»[١].

(حـ) وقال العلاّمة الشوكاني: «﴿هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ أي المختصّون بالفلاح»[٢].

هذا، وقد بين الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى الداخلين في أولئك الفائزين بقوله: «ويدخل في هذه الطائفة أهل العلم، والتعليم، والمتصدّون للخطابة ووعظ الناس، عموماً وخصوصاً، والمحتسبون الذين يقومون بإلزام الناس بإقامة الصلوات، وإيتاء الزكاة، والقيام بشرائع الدين، وينهونهم عن المنكرات. فكل من دعا الناس إلى خير على وجه العموم، أو على وجه الخصوص، أو قام بنصيحة عامة أو خاصة فإنه داخل في هذه الآية الكريمة»[٣].

ثالثاً: ومن النصوص الدالة على أنّ القيام بالدعوة من أسباب الحصول على الفوز والفلاح قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ

---

(١) تفسير أبي السعود ٢/ ٦٨.
(٢) فتح القدير ١/ ٣٣٧.
(٣) تفسير السعدي ص١٢٧.

﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[١].

ومما نجد في هاتين الآيتين الكريمتين أن الله عزّ وجل وعد من اتصفوا بخمس صفات، وهي:

١ ـ كونهم أولياء للمؤمنين.

٢ ـ قيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٣ ـ إقامتهم الصلاة.

٤ ـ إيتاؤهم الزكاة.

٥ ـ طاعتهم لله تعالى ولرسوله ﷺ.

وعدهم الله عز وجل بفيضان رحمته في الدنيا بقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، كما وعدهم بحسن مثوبته في الآخرة بقوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾.

ثم أخبر المولى عزّ وجلّ بأنّ حصول المتّصفين بتلك الصفات الخمس على ما ذُكِر، هو الفوز العظيم، دون ما سواه، مما يعدّه الناسُ فوزاً، وذلك بقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾. قال القاضي أبو السعود رحمه الله تعالى في تفسيره: «(ذلك) إشارة إلى ما سبق ذكره، وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد درجته في العظم والضخامة ﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ دون ما يعدّه الناس فوزاً من حظوظ الدنيا، فإنها مع قطع النظر من فنائها وتغيّرها وتنغصها وتكدرها ليست بالنسبة إلى أدنى شيء

---

(١) سورة التوبة/ الآيتان: ٧١ـ٧٢.

من نعيم الآخرة. بمثابة جناح البعوض»[١].

وقال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾: حيث حصلوا على كل مطلوب، وانتفى عنهم كل محذور، وحسنت وطابت منهم جميع الأمور، فنسأل الله أن يجعلنا معهم بجوده»[٢]. آمين يارب العالمين.

رابعاً: ومن النصوص الدالة على كون الدعوة إلى الله تعالى من شروط النجاة من الهلاك والدمار، والفوز بالفلاح ما رواه الأئمة أحمد والبخاري والترمذي رحمهم الله تعالى عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما يقول: قال النبي ﷺ: «**مثل المدهن[٣] في حدود الله والواقع فيها مثل قوم استهموا سفينة[٤]، فصار بعضهم في أسفلها، وصار بعضهم في أعلاها، فكان الذين في أسفلها يمرون بالماء على الذين في أعلاها. فتأذوا به. فأخذ فأساً، فجعل ينقر[٥] أسفل السفينة، فأتوه، فقالوا: «مالك؟»**.

قال: «تأذيتم بي، ولابدلي من الماء».

---

(١) تفسير أبي السعود ٤/ ٨٣ ـ ٨٤؛ وانظر الكشاف ٢/ ٢٠٢؛ وفتح القدير ٢/ ٥٥٥؛ وروح المعاني ١٠/ ١٣٧.

(٢) تفسير السعدي ص٣٥٨.

(٣) (المدهن): بضم الميم وسكون الدال وكسر الهاء، من الادهان، وهو المحاباة في غير حق، وهو الذي يرائي ويضيِّع الحقوق، ولا يغيِّر المنكر. (انظر: فتح الباري ٥/ ٢٩٥؛ وعمدة القاري ١٣/ ٢٦٣).

(٤) (استهموا سفينة): اقترعوها أي أخذ كل واحد منهم سهماً أي نصيباً من السفينة بالقرعة. (انظر: المرجعين السابقين ٥/ ٢٩٥؛ ١٣/ ٢٦٣).

(٥) (ينقر): يحفر ليخرقها. (انظر: المرجعين السابقين ٥/ ٢٩٥؛ ١٣/ ٢٦٣).

فإنْ أخذوا على يديه[١] أنجوه ونجوا أنفسهم. وإن تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم»[٢].

وفي رواية عند الإمام أحمد: «فإن أخذوا على أيديهم، فمنعوهم نجوا جميعاً، وإن تركوهم غرقوا جميعاً»[٣].

قال الإمام الطيبي في شرح الحديث: «شبّه النبي ﷺ [المداهن في حدود الله] بالّذي في أعلى السفينة وشبّه [الواقع في تلك الحدود] بالذي في أسفلها، وشبّه [انهماكه في تلك الحدود وعدم تركه إياها] بنقره أسفل السفينة، وعبَّر عن [نهي الناهي الواقع في تلك الحدود] بالأخذ على يديه، وبمنعه إياه عن النقر، وعبَّر عن [فائدة ذلك النهي] بنجاة الناهي والمنهي، وعبَّر عن [عدم نهي النهاة] بالترك، وعبَّر عن [الذنب الخاص للمداهنين الذين ما نهوا الواقع في حدود الله] بإهلاكهم إياه وأنفسهم»[٤].

---

(١) (أخذوا على يديه): منعوه من النقر. (انظر فتح الباري ٥/ ٢٩٥؛ وعمدة القاري ١٣/ ٢٦٣).

(٢) المسند ٤/ ٢٦٨ و٢٧٠ (ط. المكتب الإسلامي)؛ وصحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب القرعة في المشكلات، رقم الحديث ٢٦٨٦، ٥/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣؛ واللفظ له؛ وجامع الترمذي، أبواب الفتن، باب منه، رقم الحديث ٢٢٦٤، ٦/ ٣٢٨ ـ ٣٢٩.

(٣) المسند ٤/ ٢٦٨. (ط. المكتب الإسلامي).

(٤) شرح الطيبي ١٠/ ٣٢٦١. ومما نجده في هذا الحديث الشريف أنَّ النبي الكريم ﷺ استخدم صيغة الجمع للنّاهين عن نقر السفية، واستخدم صيغة المفرد للواقع في حدود الله. وقد بيَّن الإمام الطيبي رحمه الله تعالى حكمة ذلك بقوله: «وإنما جمع فرقة النهاة إرشاداً إلى أنَّ المسلمين لابد وأن يتعاونوا على أمثال هذا النهي، أو =

وممّا نستفيده من هذا الحديث الشريف أنّ من شروط نجاة العباد من الهلاك، والفوز بالفلاح أن يمنعوا المفسدين من الفساد، وإلا سيهلك الصالحون مع المفسدين. قال الملاّ علي القاري رحمه الله تعالى في شرح الحديث: والمعنى أنه كذلك إن منع الناس الفاسق عن الفسق نجا ونجوا من عذاب الله تعالى. وإن تركوه على فعل المعصية ولم يقيموا عليه الحد حلّ بهم العذاب، وهلكوا بشؤمه، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾[1]»[2].

فخلاصة الكلام أنّ هناك عدة نصوص تدلّ على أنّ الدعوة إلى الله تعالى من شروط النجاة من الهلاك والفوز بالفلاح. وهذا ـ بلا شك ـ يدلّ على عظيم شرف الدعوة إلى الله تعالى.

* * *

= إلى أنّ منْ يصدر عنه هذا النهي فهو كالجمع قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً...﴾ [سورة النحل/ جزء من الآية ١٢٠]، وأفرد الواقع في حدود الله تعالى لأدائه إلى ضد الكمال». (المرجع السابق ١٠/ ٣٢٦١).

(١) سورة الأنفال/ جزء من الآية ٢٥.

(٢) مرقاة المفاتيح ٨/ ٨٦٥؛ وانظر أيضاً: فتح الباري ٥/ ٢٩٦؛ وعمدة القاري ١٣/ ٢٦٤؛ وتنبيه الغافلين ص٢٣.

المطلب الثاني عشر
الدعوة إلى الله عزّ وجلّ من أسباب نصر الأمة

إنّ الله عزّ وجلّ قادر على نصر من يشاء بأسباب وبغير أسباب، ولكنَّه عزّ وجلّ ربط نصر الأُمة بأسباب لحكمة يعلمها سبحانه وتعالى. ومن تلك الأسباب أن تنصر الأمةُ دينَ ربِّها عزّ وجلّ بالدعوة إليه، وجهاد أعدائه. وإذا قامت الأمة بذلك فقد نصرها ربها عزّ وجلّ. وفي هذا ـ بلا شك ـ يتجلّى عظيم شأن الدعوة إلى الله تعالى. ومما يدلّ على ذلك ما يلي:

أولاً: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾[١].

وفيما يلي بعض ما ذكره علماء الأمة رحمهم الله تعالى في تفسيره:

(أ) قال العلاّمة الشوكاني تعالى في تفسير الآية: «أي إن تنصروا دين الله ينصركم على الكفّار ويفتح لكم»[٢].

(ب) وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي: «هذا أمر من الله تعالى

---

(١) سورة محمد ﷺ/ الآية ٧.
(٢) فتح القدير ٥/ ٤٦.

للمؤمنين أن ينصروا الله بالقيام بدينه، والدعوة إليه، وجهاد أعدائه، وأن يقصدوا بذلك وجه الله. فإنهم إذا فعلوا ذلك نصرهم وثبّت أقدامهم، أي: يربط على قلوبهم بالصبر والطمأنينة والثبات، ويصبر أجسادهم على ذلك ويعينهم على أعدائهم.

فهذا وعد من كريم صادق الوعد أنّ الذي ينصره بالأقوال والأفعال سينصره مولاه، ويُيَسِّر له أسباب النصر من الثبات وغيره»[١].

(جـ) وقال الشيخ الشنقيطي: «ومعنى نصر المؤمنين لله تعالى نصرهم لدينه، ولكتابه، وسعيهم وجهادهم أن تكون كلمته هي العليا، وأنْ تقام حدوده في أرضه، وتُتَمثَّل أوامره، وتُجْتَنب نواهيه، ويُحْكَم في عباده بما أنزل على رسوله ﷺ»[٢].

ثانياً: قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[٣].

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى في تفسيره: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ﴾: أي من ينصر نبيَّه ودينه»[٤].

وينبغي عند الاستدلال بهذه الآية الكريمة على وعد الله تعالى بنصر من نَصَرَ دينَه أن نتنبَّه إلى الأمور التالية:

(أ) إنّ هذا الوعد بنصر منْ نَصَرَ دين الله تعالى وعدٌ من الله الذي لا يخلف الميعاد ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾[٥] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ

---

(١) تفسير السعدي ص٨٦٢.
(٢) أضواء البيان ٧/ ٤٢٣.
(٣) سورة الحج/ جزء من الآية ٤٠.
(٤) تفسير القرطبي ١٢/ ٧٢.
(٥) سورة الزمر/ جزء من الآية ٢٠.

﴿ٱلْمِيعَادَ﴾[١] إنه وعدُ من لا يُوجَد أحدٌ أصدق منه حديثاً ولا قولاً ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾[٢] ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾[٣] إنه وعد من لا يُوجَد أحدٌ أوفى منه عهداً ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ﴾[٤]. إنه وعدُ من لا يكون وعده إلا صدقاً وحقاً ﴿أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾[٥].

(ب) أكّد الله عز وجل وعده حيث أُدْخِلتْ اللام في قوله تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ﴾ واللام ـ كما بيَّن العلاّمة الشوكاني رحمه الله تعالى ـ هي جواب لقسم محذوف، ومعنى الآية: والله! لينصر الله من ينصره[٦]. والقسم ـ كما هو معروف ـ يفيد تأكيد المُقْسَم عليه، وإنَّ وعد مولانا عز وجل متحقّق لا محالة، حتى ولو خلا من القسم والتأكيد، فكيف إذا أكّد المولى عزّ وجلَّ بالقسم؟

(جـ) قد يعد أحدٌ وعداً، وهو عازم على إيفائه، ولكنه لا يقدر على ذلك لمانع أو عائق. ولكن الله عزّ وجل ليس كذلك. إنه سبحانه وتعالى كما أخبر بنفسه ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ﴾[٧] و﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[٨]

---

(١) سورة آل عمران/ جزء من الآية ٩.
(٢) سورة النساء/ جزء من الآية ٨٧.
(٣) سورة النساء/ جزء من الآية ١٢٢.
(٤) سورة التوبة/ جزء من الآية ١١١.
(٥) سورة يونس/ جزء من الآية ٥٥.
(٦) انظر: فتح القدير ٣/ ٦٥٤.
(٧) سورة الرعد/ جزء من الآية ٤١.
(٨) سورة البروج/ الآية ١٦.

و﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾(١) و﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾(٢) و﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾(٣) و﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾(٤).

وقد جاء في نهاية الآية الكريمة التي وعد فيها المولى عز وجل بنصر من نصر دينه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾. وفيه إبطال لجميع الاحتمالات الواردة لمنع تحقيق وعد الرب عز وجل. قال القاضي أبو السعود رحمه الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ ﴾ على كل ما يريده من مراداته التي من جملتها نصرهم ﴿ عَزِيزٌ ﴾ لا يمانعه شيء ولا يدافعه»(٥).

(د) لقد شهد العالَم تحقيق وعد المولى عز وجل هذا لسلف هذه الأمة، لمَّا نصروا دين ربهم عز وجل نصرهم الله تعالى، وأعزّهم، وأذلّ أعداءهم. قال القاضي أبو السعود رحمه الله تعالى: «ولقد أنجز الله عزّ سلطانه وعده حيث سلَّط المهاجرين والأنصار على صناديد العرب، وأكاسره العجم، وقياصرة الروم، وأورثهم أرضهم وديارهم»(٦).

ولو أنّ خلف هذه الأمة نصروا دين ربهم عز وجل كما نصر سلفهم، لرفعهم الله تعالى كما رفع أسلافهم.

---

(١) سورة المائدة/ جزء من الآية الأولى.
(٢) سورة الحج/ جزء من الآية ١٤.
(٣) سورة يس/ الآية ٨٣.
(٤) سورة الأنبياء/ الآية ٢٣.
(٥) تفسير أبي السعود ٦/ ١٠٩؛ وانظر أيضاً: تفسير القرطبي ١٢/ ٨٢.
(٦) تفسير أبي السعود ٦/ ١٠٩؛ وانظر أيضاً: تفسير البيضاوي ٢/ ٩١.

المطلب الثالث عشر
صلاة الله تعالى والملائكة وأهل السماوات والأرضين على معلِّم الناس الخير

ومما يدلّ على سموّ قدر الدعوة إلى الله تعالى ما أخبر به النبي الكريم الناطق بالوحي ﷺ من أن الله عزّ وجلّ وملائكته وأهل السماوات والأرضين يصلّون على معلِّم الناس الخير. فقد روى الإمام الترمذي رحمه الله تعالى عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: «ذُكِرَ لرسول الله ﷺ رجلان: أحدهما عابد، والآخر عالم، فقال رسول الله ﷺ: **«فضل العالِم[١] على العابد[٢] كفضلي على أدناكم»**.

ثم قال رسول الله ﷺ: **«إنّ الله وملائكته وأهل السموات[٣] والأرضين حتى النملة في جحرها[٤]، وحتى الحوت ليصلّون على معلِّم**

---

(١) **(العالِم)**: العالِم بالعلوم الشرعية مع القيام بالعلوم الشرعية. (مرقاة المفاتيح ١/ ٤٧٢).

(٢) **(على العابِد)**: أي المتجرِّد للعبادة بعد تحصيل قدر الفرض من العلوم. (المرجع السابق ١/ ٤٧٢-٤٧٣).

(٣) **(وملائكته وأهل السماوات)**: قال الإمام الطيبي رحمه الله تعالى: «وأما عطف **(أهل السموات)** على **(الملائكة)** فتخصيص للملائكة بحملة العرش، وسكان أمكنتها من السموات والأرض من الملائكة المقربين كما ثبت في النصوص». (شرح الطيبي ٢/ ٦٧٥).

(٤) **(جحرها)**: ثقبها. (تحفة الأحوذي ٧/ ٣٨٠).

الناس الخير[١]»[٢]

وهناك عدة أمور في هذا الحديث الشريف. ومنها ما يلي:

أولاً: يُستفَاد منه سَبَبُ تفضيل العالِمَ على العابد، وذلك أنّ نفع العابد مقصور على نفسه، ونفع العالِم متجاوز إلى غيره. قال الإمام الطيبي رحمه الله تعالى في شرح الحديث: «﴿**إنّ اللهَ وملائِكته**﴾ جملة مستأنفة لبيان التفاوت العظيم بين العالِم والعابد، وأنّ نفع العابِد مقصور على نفسه، ونفع العلم متجاوز إلى الخلائِق حتى النملَة»[٣].

ثانياً: ذكر علماء الأمة ـ جزاهم الله تعالى عنّا خيراً ـ أكثر من معنىً لصلاة الله تعالى على العباد. ومنها ما يلي:

(أ) ثناؤه تعالى على العباد عند الملائكة. قال أبو العالية رحمه الله تعالى مبيِّناً معنى صلاة الله تعالى على النبي الكريم ﷺ: «**صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة**»[٤].

الله أكبر! ما أجــلّ منزلــةً مـــنْ أثنى عليه رب الخلق كلهم عند

---

(١) (**معلِّم الناس الخير**): قيل: أراد بالخير هنا علم الدين وما به نجاة الرجل، ولم يُطْلِق المعلِّم ليُعلَم أنَّ استحقاق الدعاء لأجل تعليم علمٍ موصلٍ إلى الخير. (انظر: مرقاة المفاتيح ١/ ٤٧٣).

(٢) جامع الترمذي، أبواب العلم، باب في فضل الفقه على العبادة، رقم الحديث ٢٨٢٥، ٧/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠. وقال عنه الإمام الترمذي رحمه الله تعالى: «هذا حديث حسن غريب صحيح». (المرجع السابق ٧/ ٣٨٠). وصحّحه الشيخ الألباني. (انظر: صحيح سنن الترمذي ٢/ ٣٤٣).

(٣) شرح الطيبي ٢/ ٦٧٥.

(٤) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب (﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ ـ الآية)، ٨/ ٥٣٢.

الملائكة! وما أعظم العمل الذي به نال العبد هذا الثناء العظيم!

(ب) ومنها تزكية الله تعالى العباد. قال الإمام الراغب الأصفهاني رحمه الله تعالى: «وصلاة الله للمسلمين هو في التحقيق تزكيته إياهم»(١).

وما أسعد من زكّاه العليم الخبير سبحانه وتعالى! وما أجلّ العمل الذي صار سبباً لتزكية صاحبِه من لدنْ اللطيف البصير سبحانه وتعالى!

(جـ) ومنها رحمة الله تعالى على عباده. قال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي رحمه الله تعالى: «فهو من الله الرحمة»(٢).

وما أعظم العمل الذي جعله الحكيم الخبير سبحانه وتعالى مُوجِبَ رحمته على صاحب العمل!

ثالثاً: ومعنى صلاة الملائكة والخلق على معلِّم الناس الخير أنهم يستغفرون ويدعون له. قال الإمام الراغب الأصفهاني رحمه الله تعالى: «ومن الملائكة هي [الصلاة] الدعاء والاستغفار، كما هي من الناس»(٣).

وممّا يؤكد هذا المعنى ما رواه الإمام الطبراني رحمه الله تعالى عن

---

(١) المفردات في غريب القرآن، مادة «صلا»، ص٢٨٥.

(٢) غريب الحديث، ١/ ١٨٠؛ وانظر أيضاً: شرح الطيبي حيث جاء فيه: «فإن الصلاة من الله الرحمة». (٢/ ٦٧٦).

(٣) المفردات في غريب القرآن، مادة «صلا»، ص٢٨٥؛ وانظر أيضاً: «صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ . . .﴾ الآية)، ٨/ ٥٣٢ حيث جاء فيه: قال أبو العالية رحمه الله تعالى: «وصلاة الملائكة الدعاء»؛ وغريب الحديث للإمام الهروي ١/ ١٨٠.

جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**معلِّم الخير يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحار**»(١).

ويؤكّده كذلك ما رواه الإمام البزار رحمه الله تعالى من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «**معلِّم الخير يستغفر له كلُّ شيء حتى الحيتان في البحر**»(٢).

ومن المعلوم أنّ الملائكة لا يفعلون شيئاً إلا بأمر من الله عزّ وجل. قال تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾(٣). فإذا كان دعاؤهم لمعلِّم الناس الخير بأمر الرب عزّ وجلّ فلا شك في استجابته إن شاء الله تعالى. اللهم لا تحرمنا من دعائهم آمين يا رب العالمين.

رابعاً: ذكر النبي الكريم ﷺ النملة من المخلوقات البرّية، والحوتَ من المخلوقات البحرية. ولعلّ في هذا إشارة إلى مشاركة المخلوقات البرّية والبحريّة في الدعاء لمعلِّم الناس الخير. وفي هذا الصدد قال الملاّ علي القاري رحمه الله تعالى في شرح قوله ﷺ: «**حتى النملة في جحرها وحتى الحوت**»: «وهما غايتان مستوعبتان لدواب البرّ

---

(١) نقلاً عن مجمع الزوائد، كتاب العلم، باب منه [في فضل العالم والمتعلِّم]، ١/ ١٢٤. وقال عنه الحافظ الهيثمي: «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه إسماعيل بن عبدالله بن زرارة، وثّقه ابن حبّان. وقال الأزدي: «منكر الحديث». ولا يُلتفت إلى قول الأزدي في مثله، وبقية رجاله رجال الصحيح». (المرجع السابق ١/ ١٢٤).

(٢) انظر: الترغيب والترهيب، كتاب العلم، الترغيب في العلم وطلبه وتعلّمه وتعليمه، وما جاء في فضل العالمين والمتعلمين، ١/ ١٠١. وصحّحه الشيخ الألباني. (انظر: صحيح الترغيب والترهيب ١/ ١٠٩).

(٣) سورة التحريم/ جزء من الآية ٦.

والبحر. وقيل: وجه تخصيصهما بالذكر الإشارة إلى جنس الحلال والحرام، وقيل: أي الجنس المنهيّ عنه القتل وغيره»[١].

خامساً: إنّ تلك المخلوقات البريّة والبحريّة لا تدعو لمعلِّم الناس الخير إلا بأمر المولى سبحانه وتعالى. وإذا كان الأمر كذلك فهل لأحد أن يشك في استجابة دعواتها لمعلِّم الناس الخير؟ لا، وربي الذي خلقها كلها ويعلم مستقرها ومستودعها إلاّ إذا وُجِدَ مانع شرعي من الاستجابة.

سادساً: وأما حكمة هذا النوع من الثواب العظيم لمعلِّم الناس الخير فقد بيّنها الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى بقوله: «لما كان تعليمه للناس الخير سبباً لنجاتهم وسعادتهم وزكاة نفوسهم جازاه الله من جنس عمله بأنْ جعل عليه من صلاته، وصلاة ملائكته، وأهل الأرض ما يكون سبباً لنجاته وسعادته وفلاحه. وأيضاً فإنّ معلِّم الناس الخير لما كان مظهراً لدين الرب وأحكامه، ومعرِّفاً لهم بأسمائه وصفاته جعل الله من صلاته وصلاة أهل سماواته وأرضه عليه ما يكون تنويهاً به، وتشريفاً له، وإظهاراً للثناء عليه بين أهل السماء والأرض»[٢].

سابعاً: قد ورد عن بعض الصحابة ما يؤكّد ما جاء في حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه المذكور أعلاه.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى بعد ذكر ذلك الحديث: «وهذا مروي عن الصحابة. قال ابن عباس رضي الله عنهما: «علماء هذه الأمة رجلان: فرجل أعطاه الله علماً، فبذله للناس، ولم يأخذ عليه

---

(١) مرقاة المفاتيح ١/ ٤٧٣.
(٢) مفتاح دار السعادة ١/ ٦٣.

صفداً[١]، ولم يشتر به ثمناً، أولئك يصلّي عليهم طير السماء، وحيتان البحر، ودواب الأرض، والكرام الكاتبون.

ورجل آتاه الله علماً فضنَّ به على عباده، وأخذ به صفداً واشترى به ثمناً، فذلك يأتي يوم القيامة يُلْجَم بلجام من نار»[٢].

* * *

(١) (صفداً): أي عطيةً. جاء في أساس البلاغة: «وصفده وأصفده: أعطاه». (مادة «ص ف د» ص٢٥٥)، وانظر أيضاً: غريب الحديث لأبي عبيد الهروي ١/ ٣٢٣ - ٣٢٤).

(٢) مفتاح دار السعادة ١/ ٦٣. وقال عنه: «ذكره ابن عبدالبر مرفوعاً، وفي رفعه نظر». (المرجع السابق ١/ ٦٣).

المطلب الرابع عشر
دعاء النبي الكريم ﷺ بالنضارة والرحمة لمبلِّغ مقالته

ومما يدلّ على جليل قدر الدعوة إلى الله تعالى ما ثَبت من دعاء النبي الكريم ﷺ بالنضارة والرحمة لمن سمع مقالته فبلّغها غيره. وفيما يلي بيان ذلك.

أولاً: دعاء النبي الكريم ﷺ بالنضارة لمبلِّغ مقالته:

روى الإمام ابن ماجه عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: قام رسول الله بالخيف من منى، فقال: «**نضّر الله امرءاً سمع مقالتي فبلّغها، فربّ حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه**»(١).

ما أجلّ هذا الدعاء وأعظمه من أفضل خلق الله عز وجل وأكرمهم صلوات ربي وسلامه عليه! وما أيسرَ موجب هذا الدعاء وأسهَله! إنه استماع لحديث رسول الله ﷺ وتبليغه غيره. وما أكثر تفريطنا في ذلك!

---

(١) سنن ابن ماجه، المقدَّمة، من بلّغ علماً، رقم الحديث ٢٤٤، ١/ ٤٩. وصحّحه الشيخ الألباني. (انظر: صحيح سنن ابن ماجه ١/ ٤٥). وفي الباب عن زيد بن ثابت رضي الله عنه، (انظر: سنن أبي داود، كتاب العلم، باب فضل نشر العلم، رقم الحديث ٣٦٥٥، ١٠/ ٦٨؛ وجامع الترمذي، أبواب العلم، باب في الحث على تبليغ السماع، رقم الحديث ٢٧٩٤، ٧/ ٣٤٧ـ٣٤٨) وعن ابن مسعود رضي الله عنه. (انظر: المرجع السابق، رقم الحديث ٢٧٩٥، ٧/ ٣٤٨؛ والإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب العلم، ذكر دعاء المصطفى ﷺ لمن أدّى من أمته حديثاً سمعه، رقم الحديث ٦٦، ١/ ٢٦٨).

وما أشدّ خسارتنا إن حُرِمنا من هذا الدعاء الجليل المبارك! فلنسمع أقوال بعض علماء الحديث رحمهم الله تعالى حول معناه:

(أ) قال الإمام الخطابي: «قوله: «نضّر الله»: معناه: الدعاء له بالنضارة، وهي النعمة والبهجة»[١].

(ب) وقال الحافظ المنذري: «نضّر» ومعناه: الدعاء له بالنضارة، وهي النعمة والبهجة والحسن، فيكون تقديره: جمّله الله وزيّنه»[٢].

(جـ) وقال الإمام ابن القيم في شرح قوله ﷺ: «**نضَّر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها، وحفظها، وبلّغها، فربّ حامل فقه إلى من أفقه منه**»: «إنّ النبي ﷺ دعا لمن سمع كلامه ووعاه وحفظه وبلّغه، وهذه هي مراتب العلم: أولها وثانيها سماعه وعقله. المرتبة الثالثة تعاهده وحفظه حتى لا ينساه فيذهب. المرتبة الرابعة تبليغه وبثّه في الأمة ليحصل به ثمرته ومقصوده فهو بثّه في الأمة، فهو بمنزلة الكنز المدفون في الأرض الذي لا يُنْفَق منه، وهو معرَّض لذهابه، فإنّ العلم ما لم يُنْفَق منه ويعلَّم فإنه يوشك أن يذهب. فإذا أنفق منه نما وزكا على الإنفاق.

فمن قام بهذه المراتب الأربع دخل تحت هذه الدعوة النبوية المتضمنة لجمال الظاهر والباطن، فإن النضرة هي البهجة والحسن الذي يكساه الوجه من آثار الإيمان وابتهاج الباطن به، وفرح القلب وسروره والتذاذه به، فتُظْهِر هذه البهجة والسرور والفرحة نضارة على الوجه،

---

(١) معالم السنن ٤/ ١٨٧.

(٢) الترغيب والترهيب ١/ ١٠٨.

ولهذه يجمع له سبحانه بين البهجة والسرور والنضرة كما في قوله تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾(١).

فالنضـــرة في وجوههـــم والسرور في قلوبهم. فالنعيم وطيب القـــلب يُظْهِر نضارةً في الوجه كما قال تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾(٢).

والمقصود أن هذه النضرة في وجه من سمع سنة رسول الله ﷺ، ووعاها، وحفظها، وبلّغها. فهي أثر تلك الحلاوة والبهجة والسرور الذي في قلبه وباطنه(٣). اللهم لا تحرمنا منها لا في الدنيا ولا في الآخرة إنك سميع الدعاء.

(د) وقال الإمام السيوطي: «قال أبو عبدالله محمد بن أحمد بن جابر: «أي ألبسه الله نضرةً وحسناً وخلوصَ لونٍ وزينةً وجمالاً، أو أوصله لنضرة الجنة نعيماً ونضارةً. قال تعالى: ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً﴾(٤) و﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾(٥)(٦).

(هـ) وقال العلاَّمة المباركفوري تعليقاً على هذا الحديث الشريف: «ولو لم يكن في طلب الحديث وحفظه وتبليغه فائدة سوى أن يستفيد بركة هذه الدعوة المباركة لكفى ذلك فائدة وغنماً، وجلّ في

---

(١) سورة الإنسان/ الآية ١١.
(٢) سورة المطففين/ الآية ٢٤.
(٣) مفتاح دار السعادة ١/ ٧١ـ٧٢ باختصار.
(٤) سورة الإنسان/ جزء من الآية ١١.
(٥) سورة المطففين/ الآية ٢٤.
(٦) نقلاً عن عون المعبود ١٠/ ٦٨.

المطلب الخامس عشر
الدعوة إلى الله تعالى صدقة

وممَّا يتجلّى فيه عظيم شأن الدعوة إلى الله تعالى وجليل مكانتها أنها صدقة يتصدّق بها الدعاة على الناس. ومما يدلّ على هذا ما يلي:

أولاً: قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[١].

بيّن الله تعالى في قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ أنّ أن صفات المتقين الإنفاقَ مما رزقهم الله تعالى. والعلم هو مما رزقهم الله تعالى، فهم يتصدّقون به على غيرهم. وفيما يلي بعض ما ذكره علماء الأمة رحمهم الله تعالى في هذا الصدد:

(أ) قال الإمام الحسن البصري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾: إنّ من أعظم النفقة نفقة العلم»[٢].

(ب) وقال الإمام القرطبي: قال بعض المتقدِّمين في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ أي مما علَّمناهم يعلِّمون»[٣].

(جـ) وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «تأوّلوا قوله: ﴿وَمِمَّا

---

(١) سورة البقرة/ الآية ٣.
(٢) نقلاً عن مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٤/ ٤٢.
(٣) تفسير القرطبي ١/ ١٧٩.

﴿رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ النفقة من المال، والنفقة من العلم»[١].

(د) وقال القاضي البيضاوي في تفسيره: «ويحتمل أن يراد به الإنفاق من جميع المعاون التي آتاهم الله من النعم الظاهرة والباطنة، ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام: **إنّ علماً لا يقال به ككَنز لا يُنفَق منه**».[٢] وإليه ذهب من قال: «وممّا خصّصناهم به من أنوار المعرفة

---

(١) مجموع الفتاوى ١٤/ ٢١٢.

(٢) قال العلامة المناوي رحمه الله تعالى عن الحديث: «رواه الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة رضي الله عنه لكن بلفظ: «**مثل الذي يتعلّم العلم ثم لا يحدّث به كمثل الذي يكنز الكنز ولا ينفق منه**». وفي إسناده ابن لهيئة وهو ضعيف». (الفتح السماوي بتخريج أحاديث تفسير القاضي البيضاوي ١/ ١٤٠ ـ ١٤١).
وقال عنه الحافظ المنذري رحمه الله تعالى: «رواه الطبراني في الأوسط، وفي إسناده ابن لهيئة». (الترغيب والترهيب ١/ ١٢٢). وقال عنه الشيخ الألباني: «وقد أخرجه من طريقه الإمام أحمد أيضاً (٢/ ٤٩٩)، وله طريق أخرى عند الدارمي (١/ ١٣٤)، وشاهد من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أخرجه ابن عبدالبر (١/ ١٢٢). فالحديث بذلك حسن». (هامش صحيح الترغيب والترهيب ١/ ١٢٤).
هذا، وقد روى الإمام القضاعي رحمه الله تعالى عن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**علم لا ينفع ككنز لا يُنفَق منه**». (مسند الشهاب، علم لا ينفع ككنز لا ينفق منه، رقم الحديث ٢٦٣، ١/ ١٨٠). وصحّحه الألباني. (انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم الحديث ٣٩١٢، ٤/ ٣٧).
وقال سلمان رضي الله عنه: «علم لا يقال به ككنز لايُنفق منه». (مصنف ابن أبي شيبة، كتاب الزهد، كلام سلمان رضي الله عنه، رقم الرواية ١٦٥١٤، ١٣/ ٣٣٤؛ وسنن الدارمي، المقدّمة، باب البلاغ عن رسول الله ﷺ وتعليم السنن، رقم الرواية ٥٦١، ١/ ١١٣).

يفيضون»[١].

ثانياً: ويدلّ على كون الدعوة إلى الله تعالى صدقة أيضاً ما رواه الإمام مسلم رحمه الله تعالى عن أبي ذر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة**»[٢].

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى تعليقاً على الحديث الشريف؛ «وفيه إشارة إلى ثبوت حكم الصدقة في كل فرد من أفراد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولهذا نكره»[٣].

ثالثاً: ويدلّ على كون الدعوة إلى الله تعالى صدقةً كذلك ما قاله معاذ بن جبل رضي الله عنه: «عليكم بالعلم، فإنّ طلبَه عبادة، وتعلّمه حسنة، وبذلَه لأهله قربة، وتعلَيمه لمن لا يعلمه صدقة، والبحثَ عنه جهاد، ومذاكرتَه تسبيح»[٤].

فقرّر معاذ بن جبل رضي الله عنه ـ وهو أعلم الأمة بالحلال والحرام بشهادة الناطق بالوحي رسول الله ﷺ[٥] ـ أنّ بذل العلم لأهله

---

(١) تفسير البيضاوي ١/ ١٩؛ وانظر أيضاً: تفسير أبي السعود ١/ ٣٢.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أنّ اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، جزء من رقم الحديث ٥٣ (١٠٠٦)، ٢/ ٦٩٧.

(٣) شرح النووي ٢/ ٩٢.

(٤) نقلاً عن مجموع الفتاوى ٤/ ٤٢؛ وانظر أيضاً: مفتاح دار السعادة ١/ ١٢٠. وقال عنه الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: «رواه الخطيب وأبو نعيم وغيرهما عن معاذ بن جبل رضي الله عنه». وقال رحمه الله تعالى أيضاً: «هذا الأثر معروف عن معاذ رضي الله عنه». (المرجع السابق ١/ ١٢٠).

(٥) روى الإمام الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أرحم أمتي بأمتي أبو بكر** ـ وفيه ـ **وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل** ـ رضي الله =

قربة، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة.

رابعاً: ويدلّ على ذلك أيضاً ما قاله أبو الدرداء رضي الله عنه: «ما تصدَّق عبد بصدقة أفضل من موعظة يعظ بها إخواناً له مؤمنين، فيتفرّقون، وقد نفعهم الله بها». أو ما يشبه هذا الكلام[١].

ومما نجده في كلام أبي الدرداء رضي الله عنه أنه بيَّن أنّ الموعظة التي ينفع بها الناس هي أفضل الصدقات. اللهم اجعل لنا منها حظاً كبيراً آمين يا ذا الجلال والإكرام.

خامساً: وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عن ذلك: «وهذه صدقة الأنبياء وورثتهم العلماء، ولهذا كان الله وملائكته، وحيتان البحر، وطير الهواء يصلّون على معلم الناس الخير، كما أنّ كاتم العلم يلعنه الله، ويلعنه اللاعنون»[٢].

* * *

= **عنهما ـ**». (جامع الترمذي، أبواب المناقب، مناقب معاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب، وأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم، جزء من رقم الحديث ٤٠٤٣، ١٠/ ١٩٩). وقال عنه الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: «ورجاله ثقات». (فتح الباري ٧/ ١٢٦).

(١) مجموع الفتاوى ٤/ ٤٢؛ وانظر أيضاً منه ١٤/ ٢١٢.

(٢) المرجع السابق ١٤/ ٢١٢.

المطلب السادس عشر
عظيم ثواب من اهتدى على يده شخص واحد

وممَّا يؤكِّد جلالة قدر الدعوة إلى الله تعالى ورفيع منزلتها ما أخبر به الناطق بالوحي الرسول الكريم ﷺ عن جليل ثواب من اهتدى على يده شخص واحد. فقد روى الشيخان عن سهل بن سعد رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال لعلي رضي الله عنه لما أعطاه الراية يوم خيبر: «**انفذ على رسلك**[(١)] **حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه. فوالله! لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حُمرُ النعَم**»[(٢)].

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في شرح الحديث: «**حمر النعم**» هي الإبل الحُمُر، وهي أنفس أموال العرب، يضربون بها المثل في نفاسة الشيء، وأنه ليس هناك أعظم منه. وقد سبق بيان أنّ تشبيه أمور الآخرة بأعراض الدنيا إنما هو للتقريب من الأفهام، وإلا فذرة من الآخرة الباقية خير من الأرض بأسرها وأمثالها معها لو

---

(١) (**انفذ على رسلك**): (**انفذ**) بضم الفاء بعدها معجمة. أي: امض. (انظر: فتح الباري ٧/ ٤٧٨)، وانظر أيضاً: (النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة «نفذ»، ٥/ ٩١) و(**رسلك**): بكسر الراء أي على هينتك. (فتح الباري ٧/ ٤٧٨).

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، جزء من رقم الحديث ٤٢١٠، ٧/ ٤٦٦؛ وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، جزء من رقم الحديث ٣٤(٢٤٠٦)، ٤/ ١٨٧٢.

تصورت»[١].

ومما ينبغي أن يُتَذَكَّر أنّ النبي الكريم ﷺ لم يُقلْ إنَّـه ثوابَ من اهتدى على يده شخص واحد مثل الحصول على حمر النعم، بل قال إنّه خير منها.

وأضاف الإمام النووي رحمه الله تعالى قائلاً: «وفي هذا الحديث بيان فضيلة العلم، والدعاء إلى الهدى، وسنِّ السنن الحسنة»[٢].

ومما قاله الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى تعليقاً على الحديث الشريف: «إذا اهتدى رجل واحد بالعالِم كان ذلك خيراً له من حمر النعم، وهي خيارها وأشرفها عند أهلها، فما الظن بمن يهتدي به كل يوم طوائف من الناس؟»[٣].

اللهم اجعل لنا بمنّك وكرمك من هذا نصيباً وافراً آمين يا رب العالمين.

هذا، وقد ترجم الإمام البخاري رحمه الله تعالى على هذا الحديث بقوله: «باب فضل من أسلم على يديه رجلٌ»[٤].

وترجم عليه الإمام أبو داود رحمه الله تعالى في سننه بقوله: «باب فضل نشر العلم»[٥].

---

(١) شرح النووي ١٥/ ١٧٨.
(٢) المرجع السابق ١٥/ ١٧٨ ـ ١٧٩.
(٣) مفتاح دار السعادة ١/ ٦٢؛ وانظر أيضاً: عمدة القاري ١٤/ ٢٥٨.
(٤) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، ٦/ ١٤٤.
(٥) سنن أبي داود، كتاب العلم، ١٠/ ٦٧.

المطلب السابع عشر
للغادي إلى المسجد لتعليم الخير أجر الحاج الذي تم حجُّه

ومما يتجلّى فيه جليل منزلة الدعوة إلى الله تعالى ما أخبر به الصادق المصدوق رسولنا الكريم ﷺ أنَّ من غدا إلى المسجد لتعليم الخير فله كأجر الحاج الذي تمّ حجّه. فقد روى الإمام الطبراني رحمه الله تعالى عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلّم خيراً أو يعلّمه**(١) **كان له كأجر حاج تاماً حجَّته**(٢)»(٣).

الله أكبر! ما أعظمه من أجر لمن علّم الناس الخير. اللهم لا تحرِمْنا منه. إنك جواد كريم.

---

(١) (**يعلّمه**): يرشد الناس إلى طريق الخير. (هامش الشيخ مصطفى محمد عمارة على الترغيب والترهيب ١/ ١٠٤).

(٢) (**تاماً حجته**): أي تمّت حجته. (المرجع السابق ١/ ١٠٤).

(٣) نقلاً عن الترغيب والترهيب، كتاب العلم، الترغيب في الرحلة في طلب العلم، رقم الحديث ٤، ١/ ١٠٤.
وقال عنه الحافظ المنذري رحمه الله تعالى: «رواه الطبراني بإسناد لا بأس به». (المرجع السابق ١/ ١٠٤).
وقال عنه الحافظ الهيثمي رحمه الله تعالى: «رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون كلهم». (مجمع الزوائد ١/ ١٢٣).
وقال عنه الحافظ العراقي رحمه الله تعالى: «إسناده جيد» (نقلاً عن هامش صحيح الترغيب والترهيب ١/ ١١٠).
وصحّحه الشيخ الألباني. (انظر: المرجع السابق ١/ ١١٠).

المطلب الثامن عشر
للداعي مثل أجور من تبعه

ومما يبيِّن عظيم مكانة الدعوة إلى الله تعالى ما أخبر به الصادق الأمين نبيّنا الكريم ﷺ أن للداعي إلى الخير مثل أجور من تبعوه. ومن النصوص الدالة على ذلك ما يلي:

أولاً: روى الأئمة أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه رحمهم الله تعالى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً. ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً**»(١).

ولا ينحصر هذا الثواب عند الدعوة إلى عمل مخصوص، بل يناله الداعي ـ إذا اتُبع في دعوته بفضل الله تعالى ـ سواءً أكانت دعوته إلى عمل صغير من أعمال الخير أم إلى عملٍ كبير منها. قال الإمام الطيبي

---

(١) المسند ٢/ ٣٩٧ (ط: المكتب الإسلامي)؛ وصحيح مسلم، باب من سنَّ سنَّةً حسنةً أو سيِّئةً، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، رقم الحديث ١٦/ (٢٦٧٤)، ٤/ ٢٠٦٠؛ وسنن أبي داود، كتاب السنة، باب من دعا إلى السنة، رقم الحديث ٤٥٩٦، ١٢/ ٢٣٦؛ واللفظ لهم؛ وجامع الترمذي، أبواب العلم، باب في من دعا إلى هدى فاتُّبع أو إلى ضلالة، رقم الحديث ٢٨١٣، ٧/ ٣٦٤؛ وسنن ابن ماجه، المقدمة، من سنّ سنة حسنةً أو سَيِّئةً، رقم الحديث ١٩٤، ١/ ٤٠.

رحمه الله تعالى في شرح الحديث: [هدى] «ما يهتدي به من الأعمال الصالحة، وهو بحسب التنكير مطلق شائع في جنس ما يقال له[هدى]، يُطلَق على القليل والكثير، والعظيم والحقير. فأعظمه هدى من دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين. وأدناه هدى من دعا إلى إماطة الأذى عن طريق المؤمنين. ومن ثمَّ عظم شأن الفقيه الداعي المنذر حتى فضل واحد منهم ألف عابد، لأنّ نفعه يعمّ الأشخاص والأعصار إلى يوم الدين. ونرجو من رحمة الله وكرمه أن يكون سعينا في هذا الكتاب منتظماً في هذا السلك. ويرحم الله عبداً قال: آمينا»[(١)].

آمين يا رب العالمين.

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى تعليقاً على الحديث الشريف: «أخبر ﷺ أنّ المتسبِّب إلى الهدى بدعوته له مثل أجر من اهتدى به، والمتسبِّب إلى الضلالة بدعوته عليه مثل إثم من ضلّ به لأن هذا بذل قدرته في هداية الناس، وهذا بذل قدرته في ضلالتهم، فنزل كل واحد منهما بمنزلة الفاعل التام. وهذه قاعدة الشريعة كما هو مذكور في غير هذا الموضع»[(٢)].

هذا، وقد نبّه المّلا علي القاري رحمه الله تعالى إلى نكتة لطيفة حيث قال: «وبهذا يُعلَم أنّ له ﷺ من مضاعفة الثواب بحسب تضاعف أعمال أمته مما لا يُعَدُّ ولا يُحَدُّ، وكذا السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، وكذا بقية السلف بالنسبة إلى الخلف، وكذا العلماء

---

(١) شرح الطيبي ٢/ ٦٢٥ ـ ٦٢٦؛ وانظر أيضاً: تحفة الأحوذي ٧/ ٣٦٤.

(٢) مفتاح دار السعادة ١/ ٦٢.

المجتهدون بالنسبة إلى أتباعهم. وبه يُعرَف فضل المتقدِّمين على المتأخرين في كل طبقة»[١].

ثانياً: وروى الأئمة أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي رحمهم الله تعالى عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من دلّ على خير فله مثل أجر فاعله**»[٢].

ومما نجده في هذا الحديث الشريف ما يلي:

١ ـ لم يحصر النبي ﷺ كيفية الدلالة في نوع محدّد، بل تركها مطلقاً[٣]. وقد نبَّه إلى هذا الملا علي القاري رحمه الله تعالى بقوله: «(من دلّ) أي بالقول، أو الفعل، أو الإشارة، أو الكتابة»[٤].

٢ ـ ذكر النبي الكريم ﷺ (**على خير**) و[**خير**] بحسب التنكير مطلق شائع في جنس ما يقال له [خير] سواءً أكان قليلاً أم كثيراً، حقيراً أكان أم عظيماً، علماً أكان أم عملاً[٥]. قال الملاّ علي القاري رحمه الله

---

(١) مرقاة المفاتيح ١/ ٣٩٥.

(٢) المسند ٤/ ١٢٠، و٥/ ٢٧٢؛ (ط: المكتب الإسلامي)، وصحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره، جزء من رقم الحديث ١٣٣ (١٨٩٣)، ٣/ ١٥٠٦؛ واللفظ لهما؛ وسنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في الدال على الخير، جزء من رقم الحديث ٥١١٨، ١٤/ ٢٦؛ وجامع الترمذي، أبواب العلم، باب ما جاء أن الدال على الخير كفاعله، جزء من رقم الحديث ٢٨٠٨، ٧/ ٣٦١.

(٣) ويستفاد هذا أيضاً من الحديث السابق من قوله ﷺ: «من دعا» انظر: الحديث الشريف في ص٧٣من هذا البحث.

(٤) مرقاة المفاتيح ١/ ٤٦٣.

(٥) ويُستفاد مثل ذلك من الحديث السابق من قوله ﷺ: «إلى هدى»، وقد سبق ذكره. =

تعالى في هذا الصدد: «أي علم أو عمل مما فيه أجر وثواب»[١].

هذا، وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى مبيِّناً فوائد هذا الحديث الشريف: «وفيه فضيلة الدلالة على الخير، والتنبيه عليه، والمساعدة لفاعله. وفيه فضيلة تعليم العلم ووظائف العبادات، لاسيما لمن يعمل بها من المتعبّدين وغيرهم»[٢].

التساؤل: هل للدال على خير مثل ثواب فاعله قدراً وتضعيفاً؟

لعلّ سائلاً يسأل: هل للدال على خير ثوابٌ مثل ثوابِ فاعلِه قدراً وتضعيفاً أم أنّ له أجراً مثل أجر فاعله من غير أن يكون قدرُ أجرهما سواء؟

اختلفت آراء علماء الأمة في الإجابة عن هذا السؤال. فيرى الإمام النووي رحمه الله تعالى أن له ثواباً بذلك الفعل كما أنّ لفاعله ثواباً، ولا يلزم أن يكون قدر ثوابهما سواء[٣].

وذهب بعض الأئمة إلى أنّ المثل المذكور في هذا الحديث ونحوه إنما هو بغير تضعيف.

وقال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: إنه مثله سواء في القدر والتضعيف، لأن الثواب على الأعمال إنّما هو بفضل من الله يهبه لمَن يشاء على أيِّ شيء صدر منه خصوصاً إذا صحّت النية التي هي أصل الأعمال في طاعةٍ عجز عن فعلها لمانعٍ منع منها، فلا بُعْدَ في مساواةِ أجرِ

= انظر: ص٧٤ من هذا البحث.

(١) مرقاة المفاتيح ١/ ٤٦٣.

(٢) شرح النووي ١٣/ ٣٩.

(٣) انظر: المرجع السابق ١٣/ ٣٩.

ذلك العاجز لأجرِ القادر والفاعل أو يزيد عليه[١].

ولعلّ الراجح ـ والله تعالى أعلم بالصواب ـ ما ذهب إليه الإمام القرطبي لكون المتبادر إلى الأذهان من [المثل] المذكور في الحديث هو [المثل قدراً وتضعيفاً]، ونظراً كذلك إلى عظيم جود الرب الشكور، وجليلِ كرمِه وعميمِ رحمتِه وجزيلِ ثوابه. وما ذلك على الله بعزيز.

* * *

(١) انظر: عون المعبود ١٤/ ٢٦ ـ ٢٧.

المطلب التاسع عشر
استمرار ثواب الداعي بعد موته

وممّا يكشف عن عظيم منزلة الدعوة إلى الله تعالى أنّ ثوابها لا ينقطع بموت الداعي، بل يستمرّ حتى بعد موته مادام وُجِد من يعمل بدعوته. وقد وردتْ عدة نصوص في الكتاب والسنة تدلّ على هذا. وفيما يلي بعض منها:

أولاً: قال تعالى: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾[١] ومعنى الآية الكريمة: بما قدّم من عمل، وأخّر من سنّةٍ عُمِل بها من بعده من خير أو شر. وقد ذكر الإمام البغوي رحمه الله تعالى في تفسيره: «قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم: «بما قدّم قبل الموت من عمل صالح وسيّء، وما أخّر بعد موته من سنة حسنة أو سيئة يعمل بها»[٢].

ثانياً: وقال تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾[٣] ومعنى الآية الكريمة: ما قدّمت من عمل خير أو شر، وما أخّرت من سنة حسنة أو سيئة، لأنّ لها أجرَ ما سنّته من السنن الحسنة، وأجرَ من عمل بها، وعليها وزرُ ما سنّتْه من السنن السيئة، ووزر مَنْ عمل

---

(١) سورة القيامة/ الآية ١٣.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٤٢٢؛ وانظر أيضاً: شرح السنة ١/ ٢٣٢؛ وزاد المسير ٨/ ٤٢٠؛ وتفسير القرطبي ١٩/ ٩٨ ـ ٩٩؛ فتح القدير ٤/ ٤٧٧.

(٣) سورة الإنفطار/ الآية ٥.

بها[١].

قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في تفسير الآية: «ما قدَّمت من خير، وما أخّرت من سنة استنّ بها بعده، فله مثل أجر من اتبعه أو سيئة، فعليه مثل وزر من عمل بها»[٢].

وقال ابن عباس والقرظي محمد بن كعب رضي الله عنهم في تفسير الآية: «ما قدّمت في حياتها، وما أخرت مما سنّته فعُمِلَ به بعد موتها»[٣].

ثالثاً: وروى الإمام مسلم رحمه الله تعالى عن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سنّ في الإسلام سنَّةً حسنةً[٤]، فعُمِلَ بها بعده، كُتِب له مثل أجر من عمل بها، ولا ينْقص من أجورهم شيء. ومن سنَّ في الإسلام سنَّةً سيِّئةً، فعُمِلَ بها بعده، كُتِب عليه مثل وزر من عمل بها، ولا يُنْقَصُ من أوزارهم شيء**»[٥].

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: قوله ﷺ: «من سنَّ. . . .» الحديث؛ وفي الحديث الآخر: «**من دعا إلى هدى . . . ومن دعا إلى**

---

(١) انظر فتح القدير ٥/ ٥٨؛ وانظر أيضاً: تفسير أبي السعود ٩/ ٢٠؛ وروح المعاني ٣/ ٦٣؛ وأيسر التفاسير ٥/ ٥٣٠.

(٢) شرح السنة، كتاب العلم، باب ثواب من دعا إلى هدى أو أحيا سنة، وإثم من اتبع بدعة أو دعا إليها، ١/ ٢٣٢.

(٣) المحرّر الوجيز/ ٢٤٦.

(٤) (سنّ في الإسلام سنة حسنة): أي يأتي بطريقة مرضيةٍ يُقْتَدى به فيها. (شرح الطيبي ٢/ ٦٧١).

(٥) صحيح مسلم، كتاب العلم، باب من سنّ سنة حسنة أو سيئة، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، جزء من رقم الحديث ١٥(١٠١٧)، ٤/ ٢٠٥٩ـ٢٠٦٠.

ضلالة» هذان الحديثان صريحان في الحثّ على استحباب سنّ الأمور الحسنة، وتحريم سنّ الأمور السيئة، وأنّ من سنّ سنة حسنة كان له مثل أجرِ كل من يعمل بها إلى يوم القيامة. ومن سنّ سنة سيئة كان عليه مثل وزرِ كل من يعمل بها إلى يوم القيامة، وأنّ من دعا إلى هدى كان له مثل أجورِ متابعيه، أو إلى ضلالة كان عليه مثل آثام تابعيه، سواءً كان ذلك الهدى والضلالة هو الذي ابتدأه أم كان مسبوقاً إليه، وسواءً كان ذلك تعليم علم، أو عبادة، أو أدب، أو غير ذلك»[١].

رابعاً: وروى الإمام الطبراني رحمه الله تعالى عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من سنّ سنة حسنة فله أجرها ما عُمِل بها في حياته، وبعد مماته حتى تُتْرَكَ**»[٢].

خامساً: وروى الإمام مسلم رحمه الله تعالى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم يُنْتَفَعُ به، أو ولد صالح يدعو له**»[٣].

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى مبيِّناً معنى الحديث: «قال العلماء: معنى الحديث أنّ عمل الميت ينقطع بموته، وينقطع تجدّد الثواب له إلاّ في هذه الأشياء الثلاثة لكونه كان سببها، فإن الولد من

---

(١) شرح النووي ١٦/ ٢٢٦ـ٢٢٧.

(٢) نقلاً عن مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب العلم، باب فيمن سنّ خيراً أو غيره أو دعا إلى هدى، ١/ ١٦٧. وقال عنه الحافظ الهيثمي رحمه الله تعالى: «رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون». (المرجع السابق ١/ ١٦٧).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الوصيّة، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم الحديث ١٤ (١٦٣١)، ٣/ ١٢٥٥.

كسبه، وكذلك العلم الذي خلفه من تعليم أو تصنيف، وكذلك الصدقة الجارية، وهي الوقف»[١].

وقال الإمام الطيبي رحمه الله تعالى في شرح الحديث: «تقديره: ينقطع عنه ثواب أعماله من كل شيء من الصلاة والزكاة والحج، ولا ينقطع ثواب أعماله من هذه الثلاثة. والمعنى: إذا مات الإنسان لا يُكْتَبُ له بعده أجر أعماله، لأنه جزاء العمل، وهو ينقطع بموته، إلا فعلاً دائمَ الخير، مستمرَّ النفع مثل وقف أرض، أو تصنيف كتاب، أو تعليم مسألة يُعْمَل بها، أو ولدٍ صالح، وكل منها يلحق أجرُه إليه»[٢].

وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى مبيِّناً فوائد الحديث الشريف: «وفيه بيان فضيلة العلم، والحث على الاستكثار منه، والترغيب في توريثه بالتعليم والتصنيف والإيضاح، وأن ينبغي أنْ يختار من العلوم الأنفع فالأنفع»[٣].

سادساً: وروى الإمام ابن ماجه رحمه الله تعالى عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خيرُ ما يخلّف الرجل من بعده ثلاث: ولد صالح يدعو له، وصدقة تجري يبلغه أجرها، وعلم يُعْمَل به بعده**»[٤].

---

(١) شرح النووي ١١/ ٨٥.

(٢) شرح الطيبي ٢/ ٦٦٣.

(٣) شرح النووي ١١/ ٨٥.

(٤) سنن ابن ماجه، المقدّمة، فضل العلماء والحث على طلب العلم، رقم الحديث ٢١٢، ١/ ٤٣. وقال عنه الحافظ المنذري رحمه الله تعالى: «رواه ابن ماجه بإسناد صحيح». (الترغيب والترهيب ١/ ١١٨). وصححه أيضاً الشيخ الألباني. (انظر: صحيح ابن ماجه ١/ ٤٦؛ وصحيح الترغيب والترهيب ١/ ١٠٨).

سابعاً: وروى الأئمة ابن ماجه وابن خزيمة و البيهقي رحمهم الله تعالى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنّ مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: علماً نشره، وولداً صالحاً تركه، أو مصحفاً ورَّثه، أو مسجداً بناه، أو بيتاً لابن السبيل أو نهراً أجراه، أو صدقةً أخرجها من ماله في صحته وحياته، تلحقه من بعد موته**»(١).

ثامناً: وروى الأئمة أحمد والبزار والطبراني رحمهم الله تعالى عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أربعة تُجْرى عليهم أجورهم بعد الموت: رجل مات مرابطاً(٢) في سبيل الله، ورجل علّم علماً فأجره يجري عليه ما عُمِل به، ورجل أجرى صدقة فأجرها له ما جرَتْ عليه، ورجل ترك ولداً صالحاً يدعو له**»(٣).

---

(١) سنن ابن ماجه، المقدّمة، فضل العلماء والحث على طلب العلم، رقم الحديث ٢١٤، ١/ ٤٤. وقال الحافظ المنذري رحمه الله تعالى عنه: «رواه ابن ماجه بإسناد حسن، والبيهقي، ورواه ابن خزيمة في صحيحه بنحوه». (الترغيب والترهيب ١/ ١١٨). وحسّنه الشيخ الألباني. (انظر: صحيح سنن ابن ماجه ١/ ٤٦؛ وصحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٢١).

(٢) (**مرابطاً**): مقيماً في مكان الغزو ليحارب في سبيل رفعة الدين. (هامش الترغيب والترهيب للشيخ مصطفى محمد عمارة ١/ ١١٩).

(٣) المسند ٥/ ٢٦٩ (ط. المكتب الإسلامي)؛ وقال عنه الحافظ المنذري رحمه الله تعالى: «رواه الإمام أحمد والبزار والطبراني في الكبير والأوسط، وهو صحيح مفرَّقاً من حديث غير ما واحدٍ من الصحابة رضي الله عنهم». (الترغيب والترهيب ١/ ١١٩). وصحّحه الشيخ الألباني. (انظر: صحيح الترغيب والترهيب ١/ ١٢١).

وإنّ مما نجده في هذه الأحاديث الشريفة أنّ مما ينفع العبد بعد موته ويستمر ثوابه بعد وفاته سنةً حسنةً سنَّها فيُعمل بها بعد موته، وعلماً علّمه ونشره فيُعْمل به بعد موته. قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: إن العالِم إذا زرع علمه عند غيره ثم مات جرى عليه أجره، وبقي له ذكره، وهو عمر ثان، وحياة أخرى، وذلك أحقّ ما تنافس فيه المتنافسون ورغب فيه الراغبون[١].

هذا، وقد نظَّم الإمام السيوطي رحمه الله تعالى خصال الصدقة، وذكر منها علوماً بثّها المرء في حياته. فقد قال رحمه الله تعالى:

إذا مات ابن آدم ليس يجري ... عليه من فعال غير عشر
علومٌ بثَّها ودعاءُ نجل ... وغرسُ نخلٍ والصدقاتُ تجري
وراثةُ مصحفٍ ورباطُ ثغرٍ ... وحفرُ البئرِ أو إجراءُ نهرٍ
وبيتٌ للغريب بناه يأوي ... إليه أو بناء محلِ ذكر
وتعليمٌ لقرآنٍ كريمٍ ... فخُذْها من أحاديث بحصر[٢]

* * *

(١) انظر: مفتاح دار السعادة ١/ ١٤٨.
(٢) نقلاً عن الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل ٩/ ٢٠٦.

المطلب العشرون
الأجر العظيم للآمر بالمعروف

ومما يبيِّن شرف الدعوة إلى الله تعالى ما وعده الله سبحانه وتعالى بإيتاء أجرٍ عظيمٍ للآمر بالمعروف. قال عزّ من قائل: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1]

قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى في تفسيره: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾ لا خير في كثير من نجوى الناس جميعاً ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ والمعروف[2]: هو كل ما أمر الله به أو ندب إليه من أعمال البر والخير ﴿أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ﴾ وهو الإصلاح بين المتباينين أو المختصمين، بما أباح الله الإصلاح بينهما ليتراجعا إلى ما

---

(١) سورة النساء/ الآية ١١٤.

(٢) (المعروف): قال الإمام البغوي رحمه الله تعالى: «(المعروف) أي بطاعة الله وما يعرفه الشرع، وأعمال البر كلها معروف لأن العقول تعرفها». (تفسير البغوي ١/ ٤٧٩ ـ ٤٨٠). وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله في تفسيره: «وهو الإحسان والطاعة، وكل ما عُرِف في الشرع والعقل حسنُه. وإذا أُطلِق الأمر بالمعروف من غير أن يُقْرَن بالنهي عن المنكر، دخل فيه النهي عن المنكر، وذلك لأن ترك المنهيات من المعروف، وأيضاً لا يتمّ فعل الخير إلا بترك الشر. وأما عند الاقتران فيفسَّر المعروف بفعل المأمور، والمنكر بترك المنهي». (تفسير السعدي ص١٩٢).

فيه الألفة واجتماع الكلمة على ما أذن الله وأمر به»[١].

ومما ينبغي أن يقف عنده المرء المسلم طويلاً أنّ الله عزّ وجلّ وصف أجرَ من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس أنه عظيم. وما سمّاه الله تعالى عظيماً فلا يعلم قدرَه إلا هو سبحانه وتعالى. وفيما يلي بعض ما قاله المفسرون رحمهم الله تعالى في هذا الصدد:

(أ) قال الإمام الطبري: ثم أخبر الله جلّ ثناؤه بما وعد من فعل ذلك، فقال: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ يقول: ومن يأمر بصدقة أو معروف من الأمر، أو يصلح بين الناس ﴿ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ يعني طلب رضا الله بفعله ذلك ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ يقول: فسوف نعطيه جزاء ما فعل من ذلك عظيماً. ولا حدّ لمبلغ ما سمّى الله ﴿عظيماً﴾ يعلمه سواه»[٢].

(ب) وقال العلاّمة الخازن في تفسير قوله تعالى: ﴿أجراً عظيماً﴾. «لا حدّ له لأنّ الله سمّاه عظيماً، وإذا كان كذلك فلا يعلم قدره إلا الله»[٣].

(جـ) وقال القاضي أبو السعود في تفسيره: «يقصر عنه الوصف»[٤].

(د) وقال العلاّمة الألوسي في تفسيره: «لا يحيط به نطاق

---

(١) تفسير الطبري ٩/ ٢٠١ ـ ٢٠٢.
(٢) المرجع السابق ٩/ ٢٠٢.
(٣) تفسير الخازن ١/ ٥٩٧.
(٤) تفسير أبي السعود ٢/ ٢٣٢.

الوصف»[١].

الله أكبر! ما أجلّ أجر من أمر بصدقة أو بما أمر الله به أو ندب إليه من أعمال البر والخير، أو إصلاح بين الناس! جعلنا الله تعالى من أولئك السعداء الذين لهم هذا الوعد الكريم من الرب الكريم آمين يا ذا الجلال والإكرام.

* * *

(١) تفسير روح المعاني ٥/ ١٤٥.

المطلب الحادي والعشرون
داخل المسجد النبوي الشريف لتعلّم الخير وتعليمه كالمجاهد

وممّا يتجلّى فيه شرف الدعوة إلى الله تعالى ما أخبر به الصادق المصدوق الناطق بالوحي نبيّنا الكريم ﷺ أنَّ داخل مسجده الشريف لتعلّمِ الخير وتعليمه بمنزلة المجاهد في سبيل الله تعالى. ومما يدّل على ذلك ما يلي:

أولاً: قد روى الأئمة أحمد وابن ماجه وابن حبان وأبو يعلى والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**من دخل مسجدنا هذا ليتعلَّم خيراً أو يعلّمه كان كالمجاهد في سبيل الله. ومن دخله لغير ذلك كان كالناظر ما ليس له**»[(١)].

---

(١) المسند، رقم الحديث ٨٥٨٧، ١٦/ ٢٤٨؛ وسنن ابن ماجه، المقدمة، الانتفاع بالعلم والعمل به، رقم الحديث ٢٤٠؛ ١/ ٤٨؛ والإحسان إلى تقريب صحيح ابن حبان، كتاب العلم، ذكر التسوية بين طالب العلم ومعلِّمه وبين المجاهد في سبيل الله، رقم الحديث ٨٧، ١/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨؛ ومسند أبي يعلى الموصلي، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، ٦٣٢ (٦٤٧٢)، ١١/ ٣٥٩؛ والمستدرك على الصحيحين، كتاب العلم، ١/ ٩١؛ واللفظ لهما؛ وقال عنه الإمام الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، فقد احتجَّا بجميع رواته، ثم لم يخرجاه، ولا أعلم له علّة». (المرجع السابق ١/ ٩١)، ووافقه الحافظ الذهبي. (انظر: التلخيص ١/ ٩١).
وقال الحافظ البوصيري عن رواية الإمام ابن ماجه رحمه الله تعالى: «هذا إسناد صحيح احتجَّ مسلم بجميع رواته». (مصباح الزجاجة ١/ ٧٤)؛ وحسّن الدكتور الحسيني إسناد رواية المسند (انظر: هامش المسند ١٦/ ٢٤٨)؛ وحسّن الشيخ شعيب الأرناؤوط إسناد رواية الإمام ابن حبان. (انظر: هامش الإحسان إلى تقريب=

وقد ترجم الإمام ابن حبان رحمه الله تعالى على هذا الحديث في صحيحه بقوله: «ذكر التسوية بين طالب العلم ومعلِّمه وبين المجاهد في سبيل الله»[١].

هذا، وقال الملاّ علي القاري رحمه الله تعالى مبيِّناً سببَ التسوية بينهما بقوله: «من حيث إنَّ كلاً منهما يريد إعلاء كلمة الله العليا، أو لأنّ العلم والجهاد كل واحد منهما قد يكون فرض عين، وقد يكون فرض كفاية، أو لأنّ كلاً منهما عبادة نفعها متعدٍّ إلى عموم المسلمين»[٢].

ثانياً: وروى الإمام الطبراني رحمه الله تعالى عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال: «**من دخل مسجدي هذا ليتعلَّمَ خيراً، أو ليعلِّمه كان بمنزلة المجاهد في سبيل الله. ومن دخله لغير ذلك من أحاديث الناس كان بمنزلة من يرى ما يعجبه، وهو شيء غيره**»[٣].

ثالثاً: ومما يؤكّد ما دل عليه الحديثان السابقان ما رواه الإمام مالك رحمه الله تعالى عن سميٍّ مولى أبي بكر أنّ أبا بكر ابن عبدالرحمن[٤] رحمه الله تعالى كان يقول: «من غدا أو راح إلى

= صحيح ابن حبان ١/ ٢٨٨)؛ وقال محقق مسند أبي يعلى: «إسناده صحيح». (هامش مسند أبي يعلى الموصلي ١١/ ٣٥٩).

(١) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب العلم، ١/ ٢٨٧.

(٢) مرقاة المفاتيح ٢/ ٤٤٨.

(٣) المعجم الكبير، رقم الحديث ٥٩١١، ٦/ ١٧٥. وقال عنه الحافظ الهيثمي رحمه الله تعالى: «رواه الطبراني في الكبير، وفيه يعقوب بن حميد بن كاسب، وثّقه البخاري، وابن حبان، وضعّفه النسائي وغيره، ولم يستندوا في ضعفه إلا إلى أنه محدود، وسماعه صحيح». (مجمع الزوائد ١/ ١٢٣).

(٤) **(أبو بكر رحمه الله تعالى)**: هو أبو بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام ابن =

المسجد، لا يريد غيره، ليتعلَّم خيراً أو ليعلّمه، ثم رجع إلى بيته، كان كالمجاهد في سبيل الله، رجع غانماً»[١].

قال الحافظ ابن عبدالبر رحمه الله تعالى تعليقاً على قول أبي بكر رحمه الله تعالى هذا: «معلوم أنّ هذا لا يُدْرك بالرأي والاجتهاد، لأنه قطع على غيب من حكم الله، وأمره في ثوابه. وقد ورد مرفوعاً عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ»[٢].

الله أكبر! ما أجله من منزلة للقادم إلى المسجد لتعلّمِ الخير وتعليمِه! اللهم اجعلنا من أصحابها يا حي يا قيوم.

* * *

= المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم القرشي المدني أحد الفقهاء السبعة. (انظر: تهذيب التهذيب ١٢/ ٣٠).

(١) الموطأ، كتاب قصر الصلاة في السفر، باب انتظار الصلاة والمشي إليها، رقم الرواية ٥٣، ١/ ١٦٠ ـ ١٦١.

(٢) نقلاً عن تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك ١/ ١٧٥.

المطلب الثاني والعشرون
التفقّه في الدين والقيام بالإنذار قسيمة النفير للجهاد

وممّا يَجْلُوْ عظيم منزلة الدعوة إلى الله تعالى أنّ المولى عزّ وجلّ جعل الخروج للتفقّه في دين الله تعالى والقيام بالإنذار بعده قسيماً للخروج للجهاد في سبيل الله تعالى. وقد دلّ على هذا قوله تعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[١].

وقد بيَّن ذلك كثير من المفسرين المتقدّمين والمتأخرين رحمهم الله تعالى. وفيما يلي ما ذكره بعضهم:

(أ) قال العلاّمة الزمخشري في تفسيره: «إنّ رسول الله ﷺ كان إذا بعث بعثاً بعد غزوة تبوك، وبعد ما أُنزِل في المتخلّفين من الآيات الشداد، استبق المؤمنون من آخرهم إلى النفير، وانقطعوا جميعاً عن استماع الوحي، والتفقّه في الدين، فأُمِروا أن ينفر من كل فرقة منهم طائفة إلى الجهاد، ويبقى أعقابهم يتفاقهون حتى لا ينقطعوا عن التفقّه الّذي هو الجهاد الأكبر، لأنّ الجدال بالحجة أعظم أثراً من الجلاد بالسيف»[٢].

---

(١) سورة التوبة/ الآية ١٢٢.
(٢) الكشاف ٢/ ٢٢١.

وقال العلاّمة الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ﴾: وليجعلوا غرضهم في التفقّه إنذار قومهم وإرشادهم والنصيحة لهم[١].

(ب) وقال العلاّمة ابن حيان الأندلسي في تفسيره: «فهلا نفر من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم، فكفوهم النفير، وقام كل بمصلحة، هذه يحفظ بلادهم وقتال أعدائهم، وهذه لتعلّم العلم وإفادتها المقيمين إذا رجعوا إليهم.

ومناسبة الآية لما قبلها أن كلا النفيرين هو في سبيل الله، وإحياء دينه، هذا بالعلم، وهذا بالقتال»[٢].

(جـ) وقال الإمام ابن القيم: «ندب الله تعالى المؤمنين إلى التفقّه في الدين، وهو تعلّمه، وإنذار قومهم إذا رجعوا إليهم، وهو التعليم.

وقد اختُلِف في الآية، فقيل: المعنى أن المؤمنين لم يكونوا لينفروا كلهم للتفقّه والتعلّم، بل ينبغي أن ينفر من كل فرقة منهم طائفة. تتفقّه تلك الطائفة، ثم ترجع تعلّم القاعدين، فيكون النفير على هذا نفير تعلّم.

وقالت طائفة أخرى: المعنى: وما كان المؤمنون لينفروا إلى الجهاد كلهم، بل ينبغي أن تنفر طائفة للجهاد، وفرقة تقعد تتفقّه في الدين. فإذا جاءت الطائفة التي نفرت فقّهتها القاعدة، وعلّمتها ما أُنزل من الدين والحلال والحرام. وعلى هذا فيكون قوله: ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا﴾

---

(١) انظر: المرجع السابق ٢/ ٢٢١.
(٢) البحر المحيط ٥/ ١١٦.

﴿وَلِيُنذِرُواْ﴾ للفرقة التي نفرت منها طائفة، وهذا قول الأكثرين. وعلى هذا فالنفير نفير جهاد على أصله فإنه حيث استعمل إنما يُفْهَم منه الجهاد.

وعلى القولين فهو الترغيب في التفقّه في الدين، وتعلّمه وتعليمه، فإن ذلك يعدل الجهاد، بل ربما يكون أفضل منه»[١].

(د) وقال الشيخ السيد محمد رشيد رضا: «والآية تدلّ على وجوب تعميم العلم، والتفقّه في الدين، والاستعداد لتعليمه في مواطن الإقامة، وتفقيه الناس فيه على الوجه الذي يصلح به حالهم، ويكونون به هداة لغيرهم، وأنّ المتخصصين بهذا التفقّه بهذه النية لا يقلّون في الدرجة عند الله عن المجاهدين بالمال والنفس لإعلاء كلمة الله والدفاع عن الملة والأمة، بل هم أفضل منهم في غير الحال التي يكون فيها الدفاع فرضاً عينياً، والدلائل على هذا كثيرة»[٢].

(هـ) وقال شيخنا الشيخ عطية محمد سالم في تفسير الآية: «فقد سمَّى الله الخروج لكل من الجهاد وطلب العلم [نفراً]، وقابل بين الذين ينفرون في سبيل الله مجاهدين، وبين الذين يطلبون العلم والتفقّه في الدين ليعلّموا قومهم إذا رجعوا إليهم. وذكر الفخر الرازي عن علي رضي الله عنه قوله: «أفضل الجهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

وقال في موطن بعده (المسألة الرابعة): «دلّت الآية يعني

---

(١) مفتاح دار السعادة ١/ ٥٦.

(٢) تفسير المنار ١١/ ٧٨.

﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ﴾ على أنه يجب أن يكون المقصود من التفقّه والتعلّم دعوةَ الخلق إلى الحق، وإرشادَهم إلى الدين القويم والصراط المستقيم»[١].

وفي الحديث: «**من راح إلى مسجدي هذا لعلم يعلّمه أو يتعلّمه كان كمن غزا في سبيل الله**»[٢].

وهكذا تظهر ضرورة الدعوة كضرورة الجهاد في سبيل الله سواء بسواء»[٣].

ومما نجده في أقوال هؤلاء العلماء رحمهم الله تعالى أنهم قرّروا أنَّ التفقّه في الدين، وتعلّمه وتعليمَه مثل الجهاد، بل سمّاه العلاّمة الزمخشري «الجهاد الأكبر»، وقرّر الإمام ابن القيم والشيخ السيد رشيد رضا أنّ ذلك ربما يكون أفضل من الجهاد[٤].

* * *

(١) انظر: التفسير الكبير ١٦/ ٢٢٨.
(٢) انظر: تخريج الحديث في ص٨٧ ـ ٨٨ من هذا البحث.
(٣) ضرورة الدعوة إلى الله تعالى وأثرها ص٣١.
(٤) انظر: تفصيل هذا: في المطلب التالي من ص٩٤ إلى ص١٠٠.

المطلب الثالث والعشرون
الدعوة إلى الله تعالى جهاد

وممّا يدلّ على عظيم منزلة الدعوة إلى الله تعالى أنّ العليم الحكيم عزّ وجلّ سمّاها [جهاداً] في كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. ومما يدلّ على هذا ما يلي:

أولاً: قول عزّ وجلّ: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾[١].

ففي هذه الآية الكريمة التي هي من سورة الفرقان المكية أمر الله عزّ وجلّ نبيّه الكريم بمجاهدة الكافرين مجاهدة تامة شديدة. ولم يكن الجهاد بالسيف قد شُرِع بعد آنذاك. فالمراد بالجهاد في هذه الآية الكريمة ـ والله تعالى أعلم ـ جهاد الكفار بالقرآن، وذلك بتلاوة ما فيه من القوارع والزواجر والمواعظ والأوامر والنواهي. وقد بيَّن ذلك علماء الأمة رحمهم الله تعالى. وفيما يلي أقوال بعضهم:

(أ) قال ترجمان القرآن وحبر الأمة عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ﴾ بالقرآن»[٢].

(ب) وقال الإمام البغوي في تفسيره: ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ﴾ أي

---

(١) سورة الفرقان/ الآية ٥٢.

(٢) انظر: تفسير القرطبي ١٣/ ٥٨؛ وتفسير ابن كثير ٣/ ٣٥٤.

بالقرآن ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ أي شديداً»[١].

(جـ) وقال الحافظ ابن الجوزي في تفسيره: ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ﴾ أي بالقرآن ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ أي تاماً شديداً»[٢].

(د) وقال العلاّمة القرطبي في تفسيره: «وقيل: بالسيف، وهذا فيه بعد، لأنّ السورة مكية، نزلت قبل الأمر بالقتال ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ لا يخالطه فتور»[٣].

(هـ) وقال القاضي أبو السعود: «﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ﴾ أي بالقرآن، أي بتلاوة ما فيه تضاعيفه من القوارع، والزواجر، والمواعظ، وتذكير أحوال الأمم المكذِّبة»[٤].

ثانياً: قوله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[٥].

أمر الله عزّ وجلّ رسوله الكريم ﷺ بجهاد الكفار والمنافقين. وأما جهاد الكفار فكان بالسيف والسنان، وأما جهاد المنافقين فكان بالحجة والبرهان. وقد بيَّن ذلك كثير من علماء الأمة المتقدّمين والمتأخرين رحمهم الله تعالى. وفيما يلي أقوال بعضهم:

(أ) روى الإمام الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في تفسير الآية: فأمره الله بجهاد الكفار بالسيف، والمنافقين باللسان،

---

(١) تفسير البغوي ٣/ ٣٧٣.
(٢) زاد المسير ٦/ ٩٥.
(٣) تفسير القرطبي ١٣/ ٥٨.
(٤) تفسير أبي السعود ٦/ ٢٢٥.
(٥) سورة التوبة/ الآية ٧٣؛ وسورة التحريم/ الآية ٩.

ومما قاله في هذا الصدد ما يلي:

١ ـ «كان رسول الله ﷺ في الذِروة العليا منه [من الجهاد]، واستولى على أنواعه كلها، فجاهد في الله حق جهاده بالقلب، والجنان، والدعوة والبيان، والسيف والسِنان، وكانت ساعاته موقوفة على الجهاد بقلبه ولسانه ويده. ولهذا كان أرفع العالمين ذكراً، وأعظمهم عند الله قدراً.

وأمره الله تعالى بالجهاد من حين بعثه، قال: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا * فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾(١) فهذه سورة مكية أُمِرَ فيها بجهاد الكفار بالحجة والبيان وتبليغ القرآن، وكذلك جهاد المنافقين إنما هو بتبليغ الحجّة، وإلا فهم تحت قهر أهل الإسلام، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾(٢)(٣)

ثم قال رحمه الله تعالى: «فجهاد المنافقين أصعب من جهاد الكفار، وهو جهاد خواص الأمة، وورثة الرسل، والقائمون به أفراد في العالَم، والمشاركون فيه، والمعاونون عليه، وإن كانوا هم الأقلين عدداً، فهم الأعظمون عند الله قدراً»(٤).

٢ ـ وقال رحمه الله تعالى في مقام آخر: قوام الدين بالعلم والجهاد، ولهذا كان الجهاد نوعين: جهاد باليد والسنان، وهذا المشارك فيه كثير، والثاني: الجهاد بالحجة والبيان، وهذا جهاد

---

(١) سورة الفرقان/ الآيتان ٥١ ـ ٥٢.
(٢) سورة التوبة/ الآية ٧٣، وسورة التحريم/ الآية ٩.
(٣) زاد المعاد ٣/ ٥.
(٤) المرجع السابق ٣/ ٥.

الخاصة من أتباع الرسل، وهو جهاد الأئمة، وهو أفضل الجهادين لعظم منفعته، وشدّة مؤنته، وكثرة أعدائه[١].

٣ ـ وقال رحمه الله تعالى في مكان آخر: «وتبليغ سنة إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو، لأنّ تبليغ السهام يفعله كثير من الناس، وأما تبليغ السنن فلا يقوم به إلا ورثة الأنبياء، وخلفاؤهم في أممهم جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه»[٢]. آمين يا رب العالمين.

(د) وقال القاضي البيضاوي مفضّلاً الجهاد باللسان على الجهاد بالسنان أثناء تفسيره قوله تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾، قال: ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ لأن مجاهدة السفهاء بالحجج أكبر من مجاهدة الأعداء بالسيف»[٣].

هذا، ومما يدلّ على كون بعض الجهاد باللسان أفضل من الجهاد بالسيف ما رواه الإمام ابن ماجه رحمه الله تعالى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الجهاد كلمة عدلٍ عند سلطان جائر**»[٤].

فخلاصة الكلام أنّ مما يدلّ على عظيم منزلة الدعوة إلى الله تعالى وجلالة قدرها أنّ المولىٰ عزّ وجلّ سمّاها[جهاداً]، وأنّ بعض العلماء

---

(١) انظر: مفتاح دار السعادة ١/ ٧٠.

(٢) التفسير القيم ص٤٣١.

(٣) تفسير البيضاوي ٢/ ١٤٤.

(٤) سنن ابن ماجه، أبواب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رقم الحديث ٤٠٦٠، ٢/ ٣٨٣. وصحّحه الشيخ الألباني. (انظر: صحيح سنن ابن ماجه ٢/ ٣٦٩).

قرّروا أن الجهاد باللسان والحجة والبرهان أفضل من الجهاد بالسيف والسنان. وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أن بعض الجهاد باللسان أفضل الجهاد.

* * *

الخاتمة

الحمد لله العليم الحكيم القدير الذي وفَّق العبد الضعيف لإعداد هذا البحث، فله الحمد عددَ خلقه، ورضى نفسه، وزِنةَ عرشه، ومدادَ كلماته. وأسأله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى أن يتقبّله، ويجعله نافعاً مفيداً لي، وللإسلام، والمسلمين، ويعفو عما حصل فيه من تقصير وخطأ. إنه سميع مجيب.

نتائج البحث:

تجلّـــى في هذا البحث بعون ربي عزّ وجلّ فضل الدعوة إلى الله تعالى من خلال محاور عدة. ومنها ما يلي:

١ ـ إنّ الدعوة إلى الله تعالى وظيفة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام. وقد أَمَروُا أممهم كذلك بالقيام بها. وإنها أيضاً من شعار أتباع نبيِّنا الكريم ﷺ.

٢ ـ إنّ للدعاة عند الله تعالى منزلةً عظيمة، وإنهم جديرون بأنْ يُغْتبَطُوا، بل في قِمَّةِ من يُغْتبط، وإنّ من دعاء عباد الرحمن أن يجعلهم الله تعالى قدوةً يقتدي بهم الناس.

٣ ـ قد فرض الله تعالى الدعوة على الأمة، وجعل القيام بها من أسباب وصف الأمة بالخيرية، ومن شروط الفوز بالفلاح، ومن موجبات نصر الأمة.

٤ ـ إنّ الله تعالـــى والملائكة وأهل السموات والأرضين يصلّون على معلِّم الناس الخير، كما أنَّ خير خلق الله تعالى نبيَّنا الكريم ﷺ دعا لمبلِّغ مقالته بالنضارة والرحمة.

٥ ـ إنّ الدعوة إلى الله تعالى صدقة يتصدّق بها الدعاة على غيرهم، وإنّ

للغادي إلى المسجد لتعليم الناس الخير أجر الحاج الّذي تمّ حجّه. كما إنّ للداعي مثل أجور من تبعه، ويستمرّ ثوابه حتى بعد موته، ولا يعلم قدر ثوابه إلا الله عز وجل.

٦ ـ الدعوة إلى الله تعالى بمنزلة الجهاد، وقد تكون أفضل منه في بعض الأحيان.

التوصيات:

ويستغلّ الكاتب هذه الفرصة ليوصي إخوانه المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها بما يلي:

١ ـ أن يهتمَّ كل واحد منا بالقيام بالدعوة إلى الله تعالى، كل في حدود علمه، وعلى قدر استطاعته، لعلّنا نسعد بفضل الله تعالى بذلك بإدراك ما وعد مولانا عزّ وجل لمن قام بالدعوة إليه سبحانه وتعالى.

٢ ـ أن يقوم الدعاة والعلماء والمفكرون والباحثون بتذكير المسلمين وأنفسهم بفضل الدعوة إلى الله تعالى لعل الله تعالى يجعل في ذلك تعليماً للجاهلين، وتذكيراً للمتجاهلين، وتنبيهاً للغافلين، وتحريكاً للمتكاسلين، وتشجيعاً للداعين. وما ذلك على الله بعزيز.

٣ ـ أن يُعْتَنى بتدريس المواد المتعلّقة [بالدعوة إلى الله تعالى]، وذلك من خلال تأسيس كليات الدعوة، وإنشاء أقسامها، وتقرير موادها في جامعات العالم الإسلامي، وذلك نظراً لأهميتها البالغة، وحاجة الأمة إليها اقتداءً بالسياسة التعليمية السعودية الرشيدة حيث أسّست فيها كليات الدعوة، وأُنْشِئَتْ أقسامها، وقُرِّر تدريس بعض مواد الدعوة في جامعاتها.

وصلى الله تعالى على نبيّنا وعلى آله وأصحابه وأتباعه وبارك وسلم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

١ ـ «**الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**» للأمير علاء الدين الفارسي، ط: مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، بتحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط.

٢ ـ «**أحكام القرآن**» للإمام أبي بكر الجصاص، ط: دار الفكر بيروت، بدون الطبعة وسنة الطبع.

٣ ـ «**أحكام القرآن**» للقاضي أبي بكر بن العربي، ط. دار المعرفة بيروت، بدون الطبعة وسنة الطبع، بتحقيق الأستاذ علي محمد البجاوي.

٤ ـ «**إحياء علوم الدِّين**» للشيخ أبي حامد الغزالي، ط: دار المعرفة بيروت، بدون الطبعة، سنة الطبع ١٤٠٢هـ.

٥ ـ «**أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**» للعلاَّمة محمد الأمين الشنقيطي، ط: على نفقة سمو الأمير أحمد بن عبدالعزيز آل سعود، بدون الطبعة، سنة الطبع ١٤٠٣هـ.

٦ ـ «**أيسر التفاسير لكلام العلي العزيز**» للشيخ أبي بكر جابر الجزائري، بدون اسم الناشر، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

٧ ـ «**البحر المحيط**» للعلاّمة ابن حيان الأندلسي، ط: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، بتحقيق الأساتذة عادل أحمد، وعلي محمد، ود. زكريا نوقى، ود. أحمد جمل.

٨ ـ «**تحفة الأحوذي**» بشرح جامع الترمذي للشيخ محمد عبدالرحمن المباركفوري، ط: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٩ ـ «**تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر**» لأبي عبدالله محمد بن أحمد العقباني التلمساني، سنة الطبع ١٩٦٧م، بتحقيق الأستاذ علي الشنوفي.

١٠ ـ «**الترغيب والترهيب**» للحافظ المنذري، ط: دار الفكر بيروت، بدون الطبعة سنة الطبع ١٤٠١هـ، بتحقيق الشيخ مصطفى محمد عمارة.

١١ ـ «**تفسير البغوي**» المسمَّى «**بمعالم التنزيل**» للإمام أبي محمد البغوي، ط: دار المعرفة بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، بإعداد وتحقيق الأستاذين خالد عبدالرحمن العك، ومروان سوار.

١٢ ـ «**تفسير البيضاوي**» للقاضي ناصر الدين البيضاوي، ط: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

١٣ ـ «**تفسير التحرير والتنوير**» للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، ط: الدار التونسية للنشر تونس، بدون الطبعة، سنة الطبع ١٣٩٩هـ.

١٤ ـ «**تفسير الجلالين**» للإمامين جلال الدين محمد بن أحمد المحلِّي وجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط. دار التراث العربي للطباعة والنشر القاهرة، بدون الطبعة وسنة الطبع.

١٥ ـ «**تفسير الخازن**» المسمّى بـ«**لباب التأويل في معاني التنزيل**» للإمام الخازن، ط: دار الفكر بيروت، بدون الطبعة، سنة الطبع ١٣٩٩هـ.

١٦ ـ «**تفسير السعدي**» المسمَّى بـ«**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**» للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ط: دار المغني الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

١٧ ـ «**تفسير أبي السعود**» المسمَّى بـ«**إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**» للقاضي أبي السعود، ط: دار إحياء التراث العربي، بدون الطبعة وسنة الطبع.

١٨ ـ «**تفسير الطبري**» «**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**» للإمام أبي جعفر الطبري، ط: دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية ١٩٧١م، بتحقيق الشيخين محمود محمد شاكر، وأحمد محمد شاكر.

١٩ ـ «**تفسير القاسمي**» المسمَّى: بـ«**محاسن التأويل**» للعلاَّمة محمد جمال الدين القاسمي، ط: دار الفكر بيروت، الطبعة الثالثة ١٣٩٨هـ، بتحقيق الشيخ

محمد فؤاد عبدالباقي.
٢٠ ـ «**تفسير القرآن**» للإمام عبدالرزاق الصنعاني، ط: مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، بتحقيق د. مصطفى مسلم أحمد.
٢١ ـ «**تفسير القرطبي**» المسمَّى بـ «**الجامع لأحكام القرآن**» للإمام أبي عبدالله القرطبي، ط: دار إحياء التراث العربي بيروت، بدون الطبعة وسنة الطبع.
٢٢ ـ «**التفسير القيّم**» للإمام ابن القيم، جمعه الشيخ محمد أويس الندوي، وحقّقه الشيخ محمد حامد الفقي، بدون الطبعة، سنة الطبع ١٤٠٨هـ.
٢٣ ـ «**التفسير الكبير**» المسمَّى: بـ «**مفاتيح الغيب**» للعلاّمة فخر الدين الرازي، ط: دار الكتب العلمية طهران، الطبعة الثالثة، بدون سنة الطبع.
٢٤ ـ «**تفسير ابن كثير**» المسمَّى بـ «**تفسير القرآن العظيم**» للحافظ ابن كثير، ط: دار الفيحاء دمشق ودار السلام الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، بتقديم الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط.
٢٥ ـ «**تفسير المنار**» للسيد محمد رشيد رضا، ط: دار المعرفة. بيروت، الطبعة الثانية، بدون سنة الطبع.
٢٦ ـ «**التلخيص**» للحافظ الذهبي، ط: دار المعرفة بيروت، بدون الطبعة وسنة الطبع.
٢٧ ـ «**التمهيد في أصول الفقه**» لأبي الخطاب الكلوذاني الحنبلي، ط: دار المدني جدّة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، بتحقيق د. مفيد محمد أبو عمشة.
٢٨ ـ «**تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين**» للشيخ ابن النحّاس الدمشقي، ط: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، بتحقيق الأستاذ عماد الدين عباس سعيد.
٢٩ ـ «**تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك**» للإمام جلال الدين السيوطي، ط. دار الفكر بيروت، بدون الطبعة وسنة الطبع.
٣٠ ـ «**تهذيب التهذيب**» للحافظ ابن حجر، ط: مجلس دائرة المعارف النظامية حيدر آباد الدكن الهند، الطبعة الأولى ١٣٢٦هـ.

٣١ ـ «**جامع الترمذي**» (المطبوع مع شرحه تحفة الأحوذي)، للإمام أبي عيسى الترمذي، ط: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٣٢ ـ «**جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد ﷺ خير الأنام**» للإمام ابن القيم، ط: دار العروبة الكويت، الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ

٣٣ ـ «**حاشية الشيخ محي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي**»، ط: المكتبة الإسلامية تركيا، بدون الطبعة وسنة الطبع.

٣٤ ـ «**الحرص على هداية الناس**» لـ فضل إلهي، ط: إدارة ترجمان الإسلام ججرانواله باكستان، الطبعة الخامسة ١٤١٩هـ.

٣٥ ـ «**الحسبة: تعريفها، ومشروعيتها، ووجوبها**» لـ فضل إلهي، ط: إدارة ترجمان الإسلام ججر انواله باكستان، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.

٣٦ ـ «**الدرر الغالية في آداب الدعوة والداعية**» للشيخ عبدالحميد ابن باديس، ط: دار المنار للنشر والتوزيع الخرج، بدون الطبعة وسنة الطبع، بضبط وتعليق الشيخ علي بن حسن بن علي الحلبي الأثري.

٣٧ ـ «**الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها**» للدكتور أحمد أحمد غلوش، ط: دار الكتاب المصري القاهرة، ودار الكتاب اللبناني بيروت، بدون الطبعة وسنة الطبع.

٣٨ ـ «**الدعوة إلى الله تعالى وأخلاق الدعاة**» لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، طبع ونشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد المملكة العربية السعودية، سنة الطبع ١٤١٨هـ.

٣٩ ـ «**روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**» للعلاّمة السيد محمود الألوسي، ط: دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.

٤٠ ـ «**زاد المسير في علم التفسير**» للحافظ ابن الجوزي، ط: المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٤م.

٤١ ـ «**زاد المعاد في هدي خير العباد ﷺ**» للإمام ابن القيم، ط: مؤسسة الرسالة.

بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية الكويت، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ، بتحقيق الشيخين شعيب الأرناؤوط وعبدالقادر الأرناؤوط.

٤٢ ـ «**سنن الدارمي**» للإمام أبي محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي، ط: حديث اكادمي فيصل آباد باكستان، بدون الطبعة، سنة الطبع ١٤٠٤هـ.

٤٣ ـ «**سنن أبي داود**» (المطبوع مع عون المعبود) للإمام سليمان بن الأشعث السجستاني، ط: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٤٤ ـ «**سنن ابن ماجه**» للإمام أبي عبدالله القزويني ابن ماجه، ط: شركة الطباعة العربية السعودية، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ، بتحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي.

٤٥ ـ «**شرح السنة**» للإمام البغوي، ط: المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ، بتحقيق الشيخين شعيب الأرناؤوط وزهير الشاويش.

٤٦ ـ «**شرح الطيبي على مشكاة المصابيح**» للإمام شرف الدين الطيبي، ط: مكتبة نزار مصطفى الباز مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، بتحقيق د. عبدالحميد هنداوي.

٤٧ ـ «**شرح النووي على صحيح مسلم**» للإمام النووي، ط: دار الفكر بيروت، بدون الطبعة، سنة الطبع ١٤٠١هـ.

٤٨ ـ «**صحيح البخاري**» (المطبوع مع فتح الباري) للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، نشر وتوزيع: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، بدون الطبعة وسنة الطبع.

٤٩ ـ «**صحيح الترغيب والترهيب**» تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط: مكتبة المعارف الرياض، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ.

٥٠ ـ «**صحيح الجامع الصغير وزيادته**» اختيار الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط: المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ..

٥١ ـ «**صحيح سنن الترمذي**» اختيار الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، نشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ،

بإشراف الشيخ زهير الشاويش.
٥٢ ـ «**صحيح سنن ابن ماجه**» اختيار الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، نشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج الرياض، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ، بإشراف الشيخ زهير الشاويش.
٥٣ ـ «**صحيح مسلم**» للإمام مسلم بن حجاج القشيري، نشر وتوزيع: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، بالمملكة العربية السعودية، بدون الطبعة، سنة الطبع ١٤٠٠هـ، بتحقيق الشيخ محمد فؤاد عبدالباقي.
٥٤ ـ «**ضرورة الدعوة إلى الله تعالى وأثرها**» للشيخ عطية محمد سالم، طبع ونشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد المملكة العربية السعودية، سنة الطبع ١٤١٩هـ.
٥٥ ـ «**العدّة في أصول الفقه**» للقاضي أبي يعلى الحنبلي، ط: مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ، بتحقيق د. أحمد بن علي سير المباركي.
٥٦ ـ «**عمدة القارئ**» للعلاّمة بدر الدين العيني، ط: دار الفكر بيروت، بدون الطبعة وسنة الطبع.
٥٧ ـ «**عون المعبود شرح سنن أبي داود**» للعلاّمة أبي الطيب العظيم آبادي، ط: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
٥٨ ـ «**غريب الحديث**» للحافظ ابن الجوزي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، بتحقيق د. عبدالمعطي أمين قلعجي.
٥٩ ـ «**فتح الباري**» للحافظ ابن حجر، نشر وتوزيع: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، بدون الطبعة وسنة الطبع.
٦٠ ـ **الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل**»، للشيخ أحمد عبدالرحمن البنا، ط: دار الشهاب القاهرة، بدون الطبعة وسنة الطبع.
٦١ ـ «**الفتح السماوي بتخريج أحاديث تفسير القاضي البيضاوي**» للعلاّمة

عبدالرؤوف المناوي، ط: دار العاصمة الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، بدراسة وتحقيق الشيخ أحمد مجتبى بن نذير عالم السلفي.

٦٢ ـ «**فتح القدير**» للإمام محمد بن علي الشوكاني، ط: المكتبة التجارية مكة المكرمة، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ، بتعليق الأستاذ سعيد محمد اللّحام.

٦٣ ـ «**كتاب التسهيل لعلوم التنزيل**» للحافظ أبي القاسم الغرناطي، ط: دار الكتب الحديثة القاهرة، بدون سنة الطبع، بتحقيق الأستاذين محمد عبدالمنعم اليونسي وإبراهيم عَطوة عوض.

٦٤ ـ «**الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل**» للعلاّمة أبي القاسم الزمخشري، ط: دار المعرفة بيروت، بدون الطبعة وسنة الطبع.

٦٥ ـ «**مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**» للحافظ نور الدين الهيثمي، ط: دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ.

٦٦ ـ «**مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية**» جمع وترتيب الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، ط: مكتبة المعارف الرباط المغرب، بدون الطبعة وسنة الطبع.

٦٧ ـ «**المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**» للقاضي ابن عطية الأندلسي، بدون الناشر والطبعة وسنة الطبع، بتحقيق المجلس العلمي بفاس.

٦٨ ـ «**مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**» للعلاّمة الملا علي القاري، ط: المكتبة التجارية مكة المكرمة، بدون الطبعة وسنة الطبع، بتحقيق الأستاذ صدقي محمد جميل عطار.

٦٩ ـ «**المستدرك على الصحيحين**» للإمام أبي عبدالله الحاكم، ط: دار الكتاب العربي بيروت، بدون الطبعة وسنة الطبع.

٧٠ ـ «**المسند**» للإمام أحمد بن حنبل، ط: المكتب الإسلامي، بدون الطبعة وسنة الطبع. [أو: ط: دار المعارف مصر، الطبعة الثالثة ١٣٦٨هـ]. [أو ط: مؤسسة الرسالة. بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ].

٧١ ـ «**مسند الشهاب**» للقاضي أبي عبدالله القضاعي، ط: مؤسسة الرسالة

بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ، بتحقيق الشيخ حمدي عبدالمجيد السلفي.

٧٢ ـ «**مسند أبي يعلى الموصلي**» للإمام أحمد بن علي بن المثنى التميمي، ط: دار المأمون للتراث دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، بتحقيق الأستاذ حسين سليم أسد.

٧٣ ـ «**مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه**» للحافظ أحمد بن أبي بكر الكناني البوصيري، ط: دار الجنان بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، بدراسة وتقديم الأستاذ كمال يوسف الحوت.

٧٤ ـ «**المصنف**» للإمام ابن أبي شيبة، ط: الدار السلفية بومباي الهند، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ.

٧٥ ـ «**معالم السنن**» للإمام أبي سليمان الخطابي، ط: المكتبة العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٧٦ ـ «**معاني القرآن**» للإمام أبي زكريا الفراء، ط: عالم الكتب بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ.

٧٧ ـ «**المعجم الكبير**» للحافظ أبي القاسم الطبراني، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ، بدون اسم الناشر.

٧٨ ـ «**مفتاح دار السعادة**» للإمام ابن القيم، ط: دار الكتب العلمية بيروت، بدون الطبعة وسنة الطبع.

٧٩ ـ «**المفردات في غريب القرآن**» للإمام راغب الأصفهاني، ط: دار المعرفة بيروت، بدون الطبعة وسنة الطبع، بتحقيق الأستاذ محمد سيد كيلاني.

٨٠ ـ «**الموطأ**» للإمام مالك، ط: عيسى البابي الحلبي وشركاه القاهرة، بدون الطبعة، سنة الطبع ١٣٧٠هـ، بتصحيح وتخريج الشيخ محمد فؤاد عبدالباقي.

٨١ ـ «**نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر**» للحافظ ابن حجر، ط: قران محل كراتشي باكستان، بدون الطبعة وسنة الطبع.

٨٢ ـ «**النهاية في غريب الحديث والأثر**» للإمام ابن الأثير، الناشر: المكتبة الإسلامية بيروت، بدون الطبعة وسنة الطبع، بتحقيق الأستاذين طاهر أحمد الزاوي ود. محمود محمد الطناحي.

٨٣ ـ «**الوابل الصيب من الكلم الطيب**» للإمام ابن القيم، ط: دار البيان دمشق، الطبعة الثانية ١٣٩٩، بتحقيق الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط.

٨٤ ـ «**هامش الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**» للشيخ شعيب الأرناؤوط، ط: مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٨٥ ـ «**هامش الترغيب والترهيب**» للشيخ مصطفى محمد عمارة، ط: دار الفكر بيروت، بدون الطبعة وسنة الطبع.

٨٦ ـ «**هامش المسند**» للشيخ أحمد محمد شاكر، ط: دار المعارف مصر، الطبعة الثالثة ١٣٦٨هـ.

٨٧ ـ «**هامش مسند أبي يعلى الموصلي**» للأستاذ حسين سليم أسد، ط: دار المأمون للتراث دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

* * *

فهرس الموضوعات

المقدّمة

المدخل ٥
الأمور التي راعيتها في هذا البحث ٦
خطة البحث ٦
الشكر والتقدير والدعاء ٨

المطلب الأول

الدعوة إلى الله تعالى وظيفة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام

(أ) بعض النصوص الدالة على ذلك :
أولاً : قوله تعالى : ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا . . .﴾ الآية ١٠
ثانياً : قوله تعالى : ﴿وإن من أمة . . .﴾ الآية ١٠
ثالثاً : قوله تعالى : ﴿رسلاً مبشرين ومنذرين . . .﴾ الآية ١٠
رابعاً : قوله تعالى : ﴿وما نرسل المرسلين . . .﴾ الآية ١٠
(ب) أقوال بعض العلماء رحمهم الله تعالى في هذا الصدد :
أولاً : قول الإمام ابن القيم ١٠
ثانياً : قول الشيخ السيد محمد رشيد رضا ١١
ثالثاً : قول سماحة الشيخ ابن باز ١١

المطلب الثاني

الدعوة إلى الله تعالى مهمة إمام الأنبياء ﷺ

(أ) بعض النصوص الدالة على بعثته ﷺ للدعوة إلى الله تعالى :
أولاً : قوله تعالى : ﴿وما أرسلناك إلا كافة . . .﴾ الآية ١٢
ثانياً : قوله تعالى : ﴿إنا أرسلناك بالحق . . .﴾ الآية ١٣
ثالثاً : قوله تعالى : ﴿تبارك الذي نزّل الفرقان . . .﴾ الآية ١٣

رابعـــاً : قوله تعالى : ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً . . .﴾ الآية . ١٣
(ب) بعض النصوص التي أُمِر فيها ﷺ بالتبليغ والدعوة والتذكير :
أولاً : قوله تعالى : ﴿يا أيها الرسول بلِّغ . . .﴾ الآية . ١٣
ثانيـــاً : قوله تعالى : ﴿ادع إلى سبيل ربك . . .﴾ الآية . ١٤
ثالثـــاً : قوله تعالى : ﴿فلذلك فادع . . .﴾ الآية . ١٤
رابعـــاً : قوله تعالى : ﴿فذكر بالقرآن . . .﴾ الآية . ١٤
خامساً : قوله تعالى : ﴿وذكر فإنّ . . . .﴾ الآية . ١٤
سادساً : قوله تعالى : ﴿فذكر فما . . .﴾ الآية . ١٤
سابعاً : قوله تعالى : ﴿فذكر إنّما . . .﴾ الآية . ١٤
(جـ) بعض النصوص الدالة على قيامه ﷺ بالدعوة :
أولاً : قوله عزّ وجل : ﴿وإنك لتدعوهم . . .﴾ الآية . ١٤
ثانياً : قوله عزّ وجل : ﴿الذين يتبعون الرسول . . .﴾ الآية . ١٥
ثالثاً : قوله عزّ وجل : ﴿فلا تذهب . . .﴾ الآية . ١٥

المطلب الثالث

أمر الأنبياء عليهم السلام أممهم بأن يكونوا معلّمي الناس الخير

النص الدال على ذلك :
قوله عز وجل : ﴿ما كان لبشر . . .﴾ الآية . . ١٦

المطلب الرابع

الدعوة إلى الله تعالى شعار أتباع النبي الكريم ﷺ

النص الدال على ذلك :
قوله عزّ وجلّ : ﴿قل هذه سبيلي . . .﴾ الآية . ١٨
تفسير بعض علماء الأمة رحمهم الله تعالى لهذه الآية الكريمة :
(أ) تفسير الحافظ ابن كثير ١٨
(ب) تفسير الإمام ابن القيم ١٩
(جـ) الشيخ عبدالحميد بن باديس ٢٠

المطلب الخامس

الدعوة إلى الله تعالى من صفات أحسن الناس قولاً

النص الدال على ذلك:
قوله عزّ وجلّ: ﴿ومن أحسن قولاً . . . ﴾ الآية ٢١
ـ معنى الآية الكريمة ٢١
ـ قول الإمام الحسن البصري رحمه الله تعالى في تفسيرها ٢٢
ـ استدلال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى بها على فضل نشر العلم والدعوة ٢٢
ـ قول الشيخ السعدي رحمه الله تعالى في تفسيرها ٢٣
ـ الحكمة في تقديم [الدعوة] على غيرها في الآية الكريمة ٢٣
قول فضيل بن عياض رحمه الله تعالى في فضل عالم عامِل معلِّم ٢٣
قول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في فضل من علِم وعمِل وعلَّم ٢٤

المطلب السادس

العالِم العامِل المعلِّم مثل أرض طيبة تستفيد وتفيد

النص الدال على ذلك:
قول النبي الكريم ﷺ: «مثل ما بعثني الله من الهدى . . .» الحديث . . . ٢٥
ـ قول الإمام القرطبي رحمه الله تعالى في شرحه ٢٦
ـ استدلال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى على عظيم مكانة من جمع بين العلم والعمل والدعوة ٢٦

المطلب السابع

اغتباط من أُوتي الحكمة وعلّمها الناس

النص الدال على ذلك:
قول النبي الكريم ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين . . .» الحديث ٢٨
الأمور المتعلقة بالحديث الشريف:
أولاً: المراد بالحسد:

قول الإمام ابن المنيِّر رحمه الله تعالى ٢٩
قول الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى ٢٩
ثانياً: تضمن الحديث الترغيب في التصدّق بالمال وتعليم العلم ٢٩
ثالثاً: بيان الحديث عِظَم شأن التصدّق بالمال وتعليم العلم:
(أ) قول الإمام ابن المنيِّر رحمه الله تعالى في هذا الصدد ٢٩
(ب) قول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في هذا الصدد ٣٠
(جـ) قول الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في هذا الصدد ٣٠
رابعـاً: حكمة إثبات النبي ﷺ الحسد في الحديث بدل الغبطة ٣٠
خامساً: ترجمة الإمام ابن حبان والإمام النووي رحمهما الله تعالى
على هذا الحديث ٣١

المطلب الثامن

من دعاء عباد الرحمن أن يجعلهم الله تعالى للمتقين إماما

النص الدال على ذلك:
قوله عزّ وجلّ: ﴿والذين يقولون ربنا هب لنا... ﴾ الآية ٣٢
أقوال بعض المفسرين رحمهم الله تعالى في تفسير الآية:
(أ) قول الإمام البغوي ٣٢
(ب) قول الإمام ابن العربي ٣٢
(جـ) قول العلاّمة القرطبي ٣٢
(د) قول العلاّمة الغرناطي الكلبي ٣٣
(هـ) قول الحافظ ابن كثير ٣٣
(و) قول الشيخ ابن عاشور ٣٣

المطلب التاسع

فرضيّة الدعوة إلى الله تعالى

بعض النصوص الدالة على ذلك:
أولاً: قوله تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة... ﴾ الآية ٣٤

ثانياً: قول النبي الكريم ﷺ: «بلِّغوا عني ولو آية . . . » الحديث» . ٣٥
ثالثاً: قول النبي الكريم ﷺ: «فليبلِّغ الشاهد الغائب . . . » الحديث . . ٣٦
قول ابن عباس رضي الله عنهما في هذا الحديث الشريف ٣٧

المطلب العاشر

القيام بالدعوة من أسباب وصف الأمة بالخيرية

بعض النصوص الدالة على ذلك:

أولاً: قوله عزّ وجلّ: ﴿كنتم خير أمة . . . ﴾ الآية ٣٨
ثانياً: قوله عزّ وجلّ: ﴿وكذلك جعلناكم أمة . . . ﴾ الآية . . . ٣٩
ثالثاً: قوله ﷺ: «خير الناس أقرؤهم . . . » الحديث . ٤١

المطلب الحادي عشر

الدعوة إلى الله تعالى من شروط الفوز بالفلاح

بعض النصوص الدالة على ذلك:

أولاً: قوله تعالى ﴿والعصر إن الإنسان . . .﴾ إلى نهاية السورة ٤٢
أقوال بعض المفسرين رحمهم الله تعالى في تفسيره:
(أ) قول محمد بن كعب القرظي رضي الله عنه ٤٢
(ب) قول القاضي ابن عطية ٤٣
(جـ) قول العلاّمة الفخر الرازي ٤٣
(د) قول الحافظ ابن كثير ٤٣
حكمة عطف «التواصي بالحق والتواصي بالصبر» على «الأعمال الصالحة» ٤٣
ـ قول الشيخ محي الدين رحمه الله تعالى في هذا الصدد ٤٤
ـ قول الشيخ ابن عاشور رحمه الله تعالى في هذا الصدد ٤٤
ثانياً: قوله تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة . . . ﴾الآية ٤٥
أقوال بعض علماء الأمة رحمهم الله تعالى في تفسيره:
(أ) قول الشيخ أبي حامد الغزالي ٤٥
(ب) قول القاضي أبي السعود ٤٦

(جـ) قول العلاّمة الشوكاني ٤٦
ثالثاً: قوله تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات....﴾ إلى نهاية الآيتين ٤٦
ـ قول القاضي أبو السعود رحمه الله تعالى في تفسيره ٤٧
ـ قول الشيخ السعدي رحمه الله تعالى في تفسيره ٤٨
رابعاً: قوله ﷺ: «مثل المدهن في حدود الله...» الحديث ٤٨
ـ قول الإمام الطيبي رحمه الله تعالى في شرحه ٤٩
ـ قول الملا علي القاري رحمه الله تعالى في شرحه ٥٠

المطلب الثاني عشر

الدعوة إلى الله تعالى من أسباب نصر الأمة

بعض النصوص الدالة على ذلك:

أولاً: قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله..﴾ الآية .. ٥١
أقوال بعض علماء الأمة رحمهم الله تعالى في تفسيره:
(أ) قول العلاّمة الشوكاني ٥١
(ب) قول الشيخ السعدي ٥١
(جـ) قول الشيخ الشنقيطي ٥٢
ثانياً: قوله تعالى: ﴿ولينصرن الله من ينصره...﴾الآية .. ٥٢
التنبيه إلى الأمور الأربعة التالية:
(أ) الوعد بالنصر من الله الذي لا يخلف الميعاد ٥٢
(ب) تأكيد الله تعالى وعده بـ[لام التوكيد] ٥٣
(جـ) قدرة الله تعالى على تنفيذ وعده ٥٣
(د) تحقيق هذا الوعد الكريم لسلف الأمة ٥٤

المطلب الثالث عشر

صلاة الله تعالى والملائكة وأهل السموات والأرضين على معلّم الناس الخير

النص الدال على ذلك:

ذُكِرَ لرسول الله ﷺ رجلان: أحدهما عابد، والآخر عالم... الحديث ٥٥

الأمور المتعلقة بهذا الحديث:
أولاً: تفضيل العالم على العابد لكون نفعه متجاوزاً إلى غيره ٥٦
ثانيـــاً: المراد بصلاة الله تعالى على العباد:
(أ) ثناؤه تعالى عليهم ٥٦
(ب) تزكيّته تعالى إياهم ٥٧
(جـ) رحمته تعالى عليهم ٥٧
ثالثـــاً: معنى صلاة الملائكة والخلق على معلِّم الناس الخير ٥٧
رابعـــاً: الحكمة في اختياره ﷺ ذكر صلاة النملة والحوت على معلِّم الناس الخير ٥٨
خامساً: دعاء الخلق لمعلِّم الناس الخير بأمر الله تعالى ٥٩
سادساً: حكمة هذا النوع من الثواب العظيم لمعلِّم الناس الخير ٥٩
سابعـاً: تأكيد بعض الصحابة ما جاء في هذا الحديث الشريف ٥٩

المطلب الرابع عشر

دعاء النبي الكريم ﷺ بالنضارة والرحمة لمبلِّغ مقالته

أولاً: دعاء النبي الكريم ﷺ بالنضارة لمبلِّغ مقالته: ٦١
ـ أقوال بعض علماء الحديث رحمهم الله تعالى في معنى الحديث:
(أ) قول الإمام الخطابي ٦٢
(ب) قول الحافظ المنذري ٦٢
(جـ) قول الإمام ابن القيم ٦٢
(د) قول الإمام السيوطي ٦٣
(هـ) قول العلاّمة المباركفوري ٦٣
ثانياً: دعاء النبي الكريم ﷺ بالرحمة لمبلِّغ حديثه: ٦٤

المطلب الخامس عشر

الدعوة إلى الله تعالى صدقة

بعض ما يدلّ على ذلك:
أولاً: قوله تعالى: ﴿الذين يؤمنون بالغيب... ﴾ الآية ... ٦٦

أقوال بعض علماء الأمة رحمهم الله تعالى في تفسيره :
(أ) قول الإمام الحسن البصري ٦٦
(ب) قول العلاّمة القرطبي ٦٦
(جـ) قول شيخ الإسلام ابن تيمية ٦٦
(د) قول القاضي البيضاوي ٦٧
ثانيـــاً : قوله ﷺ : «وأمر بالمعروف صدقة . . . » الحديث . ٦٨
ثالثـــاً : قول معاذ بن جبل رضي الله عنه : «عليكم بالعلم . . . » إلخ ٦٨
رابعـــاً : قول أبي الدرداء رضي الله عنه : «ما تصدق عبد . . . » إلخ ٦٩
خامساً : قول الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى : وهذه صدقة الأنبياء . . » إلخ ٦٩

المطلب السادس عشر

عظيم ثواب من اهتدى على يده شخص واحد

النص الدال على ذلك :

قوله ﷺ : «فوالله ! لأنْ يهدي الله بك . . . الحديث ٧٠
ـ قول الإمام النووي رحمه الله تعالى في شرحه ٧٠
ـ قول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في شرحه ٧١

المطلب السابع عشر

للغادي إلى المسجد لتعليم الخير أجر الحاج الذي تمّ حجُّه

الحديث الدال على ذلك :

قوله ﷺ : «من غدا إلى المسجد . . . » الحديث ٧٢

المطلب الثامن عشر

للداعي مثل أجور من تبعه

بعض النصوص الدلالة على ذلك :

أولاً : قوله ﷺ : «من دعا إلى هدى . . . » الحديث . . ٧٣
ـ قول الإمام الطيبي رحمه الله تعالى في شرحه ٧٣
ـ تعليق ابن القيم رحمه الله تعالى عليه ٧٤

ـ تنبيه الملاّ علي القاري رحمه الله تعالى إلى نكتة لطيفة ٧٤
ثانياً: قوله ﷺ: «من دلّ على خير...» الحديث ٧٥
بعض الأمور المستفادة من الحديث:
١ ـ مقصود (دلالة) في قوله ﷺ (دلّ) مطلقة ٧٥
٢ ـ لفظ (خير) في قوله ﷺ مطلق يشمل قليلَه وكثيرَه ٧٥
التساؤل: هل للدال على خيرٍ مثل ثوابِ فاعلِه قدراً وتضعيفاً؟ ٧٦

المطلب التاسع عشر

استمرار ثواب الداعي بعد موته

بعض النصوص الدالة على ذلك:

أولاً: قوله تعالى: ﴿ينبأ الإنسان يومئذ بما قدّم وأخر﴾ ٧٨
ـ قول ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم في تفسيره ٧٨
ثانيـاً: قوله تعالى: ﴿علمت نفس ما قدّمت وأخرت﴾ ٧٨
ـ قول ابن مسعود رضي الله عنه في تفسيره ٧٩
ـ قول ابن عباس والقرظي رضي الله عنهم في تفسيره. ٧٩
ثالثـاً: قوله ﷺ: «من سنّ في الإسلام سنة حسنة...» الحديث... ٧٩
ـ قول الإمام النووي رحمه الله تعالى في شرحه ٧٩
رابعـاً: قوله ﷺ: «من سنّ سنة حسنة... » الحديث... ٨٠
خامساً: قوله ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عنه... » الحديث... ٨٠
ـ بيان الإمام النووي رحمه الله تعالى معناه ٨٠
ـ قول الإمام الطيبي رحمه الله تعالى في شرحه ٨١
ـ بيان الإمام النووي رحمه الله تعالى بعض فوائده ٨١
سادساً: قوله ﷺ: «خير ما يخلّف الرجل... » الحديث... ٨١
سابعـاً: قوله ﷺ: «إنّ مما يلحق الرجل... » الحديث... ٨٢
ثامنـاً: قوله ﷺ: «أربعة تُجْرى عليهم أجورهم... » الحديث... ٨٢
ـ نظم الإمام السيوطي رحمه الله تعالى خصال الصدقة، ومنها بثُّ العلوم . ٨٣

المطلب العشرون
الأجر العظيم للآمر بالمعروف

النص الدال على ذلك :
قوله تعالى : ﴿لا خير في كثير من نجواهم . . .﴾ الآية ٨٤
أقوال بعض المفسرين رحمهم الله تعالى في تفسيره :
(أ) قول الإمام الطبري ٨٥
(ب) قول العلاّمة الخازن ٨٥
(جـ) قول القاضي أبي السعود ٨٥
(د) العلاّمة الألوسي ٨٥

المطلب الحادي والعشرون
داخل المسجد النبوي الشريف لتعلّم الخير وتعليمه كالمجاهد

بعض ما يدلّ على ذلك :
أولاً : قوله ﷺ : «من دخل مسجدنا هذا . . .» الحديث ٨٧
حكمة التسوية بين متعلم الخير ومعلِّمه وبين المجاهد ٨٨
ثانياً : قوله ﷺ : «من دخل مسجدي هذا . . .» الحديث ٨٨
ثالثاً : قول أبي بكر بن عبدالرحمن رحمهما الله تعالى : «من غدا أو راح
إلى المسجد . . .» إلخ ٨٨
ـ تعليق الحافظ ابن عبدالبر رحمه الله تعالى على قوله ٨٩

المطلب الثاني والعشرون
التفقّه في الدين والقيام بالإنذار قسيمة النفير للجهاد

النص الدال على ذلك :
قوله تعالى : ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة . . .﴾ الآية ٩٠
أقوال بعض المفسِّرين رحمهم الله تعالى في تفسيره :
(أ) قول العلاّمة الزمخشري ٩٠

(ب) قول العلاّمة ابن حيان الأندلسي ٩١
(جـ) قول الإمام ابن القيم ٩١
(د) قول الشيخ السيد محمد رشيد رضا ٩٢
(هـ) قول الشيخ عطية محمد سالم ٩٢

المطلب الثالث والعشرون

الدعوة إلى الله تعالى جهاد

بعض النصوص الدالة على ذلك :

أولاً : قوله عزّ وجلّ : ﴿فلا تطع الكافرين وجاهدهم . . . ﴾ الآية . ٩٤
ـ أقوال بعض علماء الأمة رحمهم الله تعالى في تفسيره : ٩٤
(أ) قول ترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما ٩٤
(ب) قول الإمام البغوي ٩٤
(جـ) قول الحافظ ابن الجوزي ٩٥
(د) قول العلاّمة القرطبي ٩٥
(هـ) قول القاضي أبي السعود ٩٥
ثانياً : قوله عزّ وجلّ : ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار . . . ﴾ الآية . ٩٥
ـ أقوال بعض علماء الأمة رحمهم الله تعالى في تفسيره :
(أ) قول ترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما ٩٥
(ب) قول الإمام الضحاك ٩٦
(جـ) قول الإمامين مقاتل والربيع ٩٦
(د) قول العلاّمة الزمخشري ٩٦
(هـ) قول العلاّمة الشوكاني ٩٦
(و) قول الشيخ السعدي ٩٦
هل الجهاد بالحجة والبرهان أفضل من الجهاد بالسيف والسنان؟ . . . ٩٧
ـ أقوال بعض العلماء رحمهم الله تعالى في تفضيل الجهاد بالحجة والبرهان :

(أ) قول العلاّمة الزمخشري ٩٧
(ب) قول الإمام الطيبي ٩٧
(جـ) قول الإمام ابن القيم ٩٧
(د) قول القاضي البيضاوي ٩٩
الحديث الدال على تفضيل بعض الجهاد باللسان على الجهاد بالسيف :
«أفضل الجهاد كلمة حق . . .» الحديث ٩٩
الخاتمة ١٠١
ـ النتائج ١٠١
ـ التوصيات ١٠٢
ـ فهرس المصادر والمراجع ١٠٣
ـ فهرس الموضوعات ١١٢

من كتب المؤلف :

أهمية صلاة الجماعة

في ضوء النصوص وسير الصالحين

يتناول الموضوعات التالية :

* فضل صلاة الجماعة بدءاً من تعلّق القلب في المساجد، فالمشي إليها لأداء الصلاة فيها، حتى يعود المصلي إلى بيته.
* حكم صلاة الجماعة في ضوء ما جاء في القرآن الكريم والسُّنة المطهرة.
* اهتمام النبي الكريم ﷺ بأداء الصلاة مع الجماعة في شدّة المعركة، وفي مرضه الشديد.
* عناية سلف الأمة بصلاة الجماعة في العسر واليسر، والصحة والمرض، ودعوتهم إليها، واهتمام ولاة المسلمين الأوائل بها.
* موقف أئمة الأمة وعلمائها من المالكية والحنفية والشافعية والحنابلة والظاهرية وغيرهم من صلاة الجماعة.

من كتب المؤلف:

من صفات الداعية

مراعاة أحوال المخاطبين

في ضوء الكتاب والسنة وسير الصالحين

يتناول هذا الكتاب الموضوعات التالية:

* السند الشرعي لمراعاة أحوال المخاطَبين في الدعوة إلى الله تعالى.
* مراعاة النبي الكريم ﷺ أحوال المخاطَبين في الدعوة إلى الله تعالى.
* مراعاة سلف هذه الأمة أحوال المخاطَبين في الدعوة إلى الله تعالى.
* ضوابط مراعاة أحوال المخاطَبين في الدعوة إلى الله تعالى.